جامعة مؤته

عمادة الدراسات العليا

سورة آل عمـــران
دراسة أُسلوبيَّـــــة

إعـــدَاد الطَالب

محمد يوسف المطارنة

إشراف

الأستاذ الدكتور زهير المنصور

رسالـــة مقدمـــة إلى عمـــادة الدراســـات العليـــا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستيـــر
فـــي الأدب والنقد قســـم اللغة العربيـــة وآدابها

جامعة مؤتـــة، 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب محمد يوسف المطارنة الموسومة بـــ:

سورة آل عمران دراسة أسلوبية

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة عربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. زهير أحمد منصور		2006/10/10	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2006/10/10	عضواً
أ.د. زايد خالد مقابلة		2006/10/10	عضواً
د. نايل ممدوح أبو زيد		2006/10/10	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهـــداء

إلـــــى

أمـــــي

و

أبـــــي

و

إخوتـــــي

محمد يوسف المطارنة

الشكـــر والتقديـــــر

الحمد والشكر لله وحده، فهو المتفضل على جميع عباده، والهادي إلى ســبل الخير والرشاد، فقد قيل من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فإنني أجدُ من الواجب عليَّ اعترافاً بالجميل وردِّ الفضل لأهله، أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم القــدر والثنــاء الخالص إلى أستاذي الكريم الدكتور زهير المنصور، وما بذله من جهد لإنجاز هــذه الدراسة.

ولا يفوتني أن أواصل بالشكر والتقدير السادة أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور عبدالقادر مرعي والأستاذ الدكتور زايد المقابلة والدكتور نائل أبو زيد الذين تشرفت بوضع هذا العمل صَوْبَ أيديهم، مقدراً ملاحظاتهم الحصــينة، وتوجيهــاتهم السديدة لي لا أشك حتى أنملة، بأنني سأستنير بها وألتمس منها قوت العلم وأستزيد.

ونعوذ بالله من زلل القلم وخطل الرأي وبه التوفيق.

محمد يوسف المطارنة

فهرس المحتويات

المحتـــــوى	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	ز
الملخص باللغة الإنجليزية	ح
الفصل الأول: المستـــوى الصَّوتـــــي	**1**
1.1 المقدمة	1
2.1 الصوت: لغةً واصطلاحاً	3
3.1 إيقاع الحرف	12
4.1 إيقاع الكلمات	16
1.4.1 تكرار الحرف	18
2.4.1 تكرار المقطع	19
3.4.1 تكرار الاسم	20
4.4.1 تكرار الفعل	21
5.4.1 تكرار التركيب	22
5.1 إيقاع المقاطع	25
6.1 إيقاع الفاصلة	28
1.6.1 التغير في الفاصلة	30
2.6.1 المراوحة بين الفواصل في الكلم انموسيقي	30
3.6.1 التوزيع الإيقاعي	32
4.6.1 أنماط الفاصلة القرآنية	33
7.1 خلاصة	39
الفصل الثاني: المستـــوى الصَّرفـــي	**41**
1.2 بنية الأسماء	42
1.1.2 التنكير	42
1.1.1.2 التعميم	42

2.1.1.2 المبالغة 44
3.1.1.2 التعظيم 44
4.1.1.2 التحقير 45
2.1.2 التعريف 46
1.2.1.2 الضمير 46
1.1.2.1.2 إضمار الاسم لمتقدم ذكره 46
2.1.2.1.2 ضمير الشأن 47
3.1.2.1.2 الإظهار في مقام الإضمار 48
4.1.2 العدد 49
5.1.2 التذكير والتأنيث 52
6.1.2 العلم 53
7.1.2 اسم الإشارة 54
8.1.2 الاسم الموصول 56
9.1.2 الاسم المعرف بـــ "أل" 57
10.1.2 الاسم المضاف إلى معرفة 58
2.2 بنية الأفعال 59
1.2.2 الصيغ الصرفية البسيطة 60
1.1.2.2 صيغة فَعَل 60
2.1.2.2 صيغة فَعِل 61
3.1.2.2 صيغة فعّل 61
4.1.2.2 صيغة فَعُل 62
5.1.2.2 صيغة استفعل 62
6.1.2.2 الصيغ الصرفية المركبة 63
2.2.2 الصيغ الصرفية المركبة 64
1.2.2.2 الصورة الأولى (قد+فعل) 65
2.2.2.2 الصورة الثانية (كان+يفعل) 67
3.2 خلاصة 68

الفصل الثالث: المستــوى النَّحــوي 71
1.3 الجملة الاسمية وصورها 76
1.1.3 الجملة الاسمية المثبتة البسيطة 76
2.1.3 الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة 79
3.1.3 الجملة الاسمية المنفية المنسوخة 81
2.3 الجملة الفعلية وصورها 82
1.2.3 جملة الماضي 82
1.1.2.3 الجملة الفعلية المثبتة البسيطة 82
2.1.2.3 الجملة الفعلية المثبتة المنسوخة 83
1.2.1.2.3 التوكيد بالمصدر 83
2.2.1.2.3 التوكيد بالحرف "قد" 83
3.2.1.2.3 التوكيد بالحرف "لقد" 85
3.1.2.3 الجملة الفعلية المنفية المنسوخة 85
2.2.3 الجملة المضارعة 86
1.2.2.3 الجملة الفعلية المثبتة البسيطة 86
2.2.2.3 الجملة الفعلية المثبتة المنسوخة 87
1.2.2.2.3 التوكيد بالام (لام التعليل) 87
2.2.2.2.3 التوكيد بالسين 87
3.2.2.2.3 التوكيد بـــ"لن" 88
3.2.2.3 الجملة الفعلية المنفية المنسوخة 89
1.3.2.2.3 النفي بـــ"لا" 89
2.3.2.2.3 النفي بـــ"ما" 90
3.3 الجملة الموصولة وصورها 91
1.3.3 الاسم الموصول "الذي" 92
2.3.3 الاسم الموصول "الذين" 94
3.3.3 الاسم الموصول "التي" 95
4.3.3 الاسم الموصول "من" 95
4.3 الجملة الشرطية وصورها 96

1.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "أن" 96
2.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "من" 97
3.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "لو" 99
4.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "أمّا" 100
5.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "ما" 101
6.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "إذا" 102
5.3 الجملة الاستفهامية وصورها 103
1.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى الإنكار 103
2.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التقرير 104
3.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التنبيه 105
4.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التعجب 105
5.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى الأمر 106
6.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التهويل والتهديد 107
6.3 خلاصة 107
الفصل الرابع: المستـــوى الدّلالـــي 109
1.4 دراسة الحقول الدلالية 110
1.1.4 قسم الأسماء 111
2.1.4 قسم الأفعال 120
3.1.4 قسم الصفات 126
2.4 تحليل الصور البلاغية 132
3.4 خلاصة 136
المراجع 141

الملخـــص

سورة آل عمران دراسة بلاغيَّة

محمد يوسف المطارنة

جامعة مؤتة، 2006م

تبحث هذه الدراسة في الإعجاز القرآني في سورة آل عمـــران مـــن زاويـــة نظمها اللّغوي؛ حيث تناول البحث تحليلاً للسورة من جوانبها الصوتيّة، والصـــرفيّة، والنّحويّة، والدّلاليّة.

وقد جاء البحث في أربعة فصول، اشتمل الفصل الأول على المقدمـــة التـــي تناولت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف الذي تسعى الدراســـة لتحقيقـــه، والمنهج المتبع فيها، ثم تناول إيقاع الحروف، وإيقاع الكلمات وإيقاع المقاطع، وإيقاع الفواصل القرآنية.

وخصص الفصل الثاني لدراسة المستوى الصرفي، فدرست فيه بنية الأسماء وبنية الأفعال، وتضم الأول: النَّكرة، والمعرفة، وتضم بنية الأفعال: الصيغ الصرفيَّة البسيطة المفردة والصيغ الصرفيَّة المركبة.

وتناول الفصل الثالث المستوى النّحوي: الجملة الاسميّة والفعليّة، وبيان أنماط كل جملة من الجمل الاسميّة والفعليّة، كمـــا درســـت الجملـــة الشـــرطيّة والجملـــة الموصولة والجملة الاستفهاميَّة.

واحتوى الفصل الرابع على المستوى الدّلاليّ الذي تضمن مبحثين أساســـيين، هما: الحقول الدّلاليّة، وقد قسَّمت الحقول في السورة إلى ثلاثة أقسام: قسم الأسماء، قسم الأفعال، قسم الصفات، وتحليل الصور البلاغية، فقد خصص هذا البحث لتحليل بعض الصور البلاغيَّة الموظَّفة في ســـورة آل عمـــران كالتَّشـــبيه والاســـتعارات والكنايات.

Abstract
Sourat Al Omran Rhetorical Study

Mohammad Yousof Al-Matarneh

Mu'tah University, 2006

This study investigates the Koran miraculous at sourat Al- Omran interims of its linguistic composing. The research handles an analysis of the sourat from its phonetic, morphological, syntactic, and indicative sides.

This research consists of four chapters, chapter one includes introduction which talk about the important of the subject, reasons stand behind choosing it, the aim of the study, and the course it is followed. Then this chapter deals with flick of words, syllables, and Koran's interims.

Second chapter is specialized in studying the morphological level; nouns structure that involve indefinite and definite nouns have discussed, verbs structure that include simple and single morphological forms, and compound morphological forms have discussed also.

Chapter three deals with syntactic level: nominal and verbal clauses, showing pattern of each sentence of nominal and verbal clauses. In addition conditional clause, relative clause, and interrogative clause have discussed.

Chapter four includes indicative level which contains two keys fields that are: indicative areas, fields in Alsourat have divided into three sections: nouns, verbs, and adjectives; analysis of rhetorical imagery deals with analysis of some rhetorical imageries that are used in Alsourat such as simile, and metaphor.

الفصـــل الأول

المستـــوى الصَّـــوتي

1.1 المقدمة

انطلق البحث من معايشتي الوجدانية لتفاسير القرآن الكـــريم التـــي تناولـــت النّص القرآني، وحاولت إبراز تميز أسلوب وخصوصيته نظامه اللّغـــوي، كمـــا أن تعلقي بالقرآن العظيم والرغبة الصادقة في خدمة اللّغة العربية الشريفة كانـــا لهمـــا عميق الأثر في اختيار موضوع البحث والموسوم بـــ "ســـورة آل عمـــران دراســـة بلاغية" ولعلّ من أهم دواعي هذا الاختيار ما يلي:

1. إنَّ سورة آل عمران سورة طويلة من حيث عددُ آياتها، وهذا ما يسهل علـــى الباحث دراسة مختلف جوانبها الفنية دراسة مفصلة، لأنه كلما كان الموضوع واسعاً كان أكثر قابلية للبحث والدراسة.
2. لقد لفت انتباهي جانبها الصوتي، خاصة أنها تعتمد على إيقاع الصيغ.
3. كما شدّ انتباهي في سورة آل عمران مستواها التركيبي، إذ تستند السورة في بنيتها النحوية إلى نمط متميز من الجمل، بحيث تشـــكل الجملـــة الموصـــولة بمختلف أشكالها، وكذا الجملة الشرطية والجملة الاستفهامية العمود الفقـــري للنظام التركيبي للسّورة الذي يوافق مختلف دلالاتها.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز ما يلي:

1. محاولة إدراك الخصائص الفنية للغة القرآنية من خلال ســـورة آل عمـــران ورصد الظواهر اللغوية البلاغية للسورة.
2. معرفة آليات صياغتها وكشف بنياتها العميقة.

وجملة الأمر أنّ هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق غايتين هما:

1. غاية عامة: تتمثل في الرغبة في استنطاق سورة آل عمران –أسلوبياً وذلـــك بواسطة الانتفاع بالمادة التراثية والمناهج اللغويـــة المعاصـــرة، ولا ســـيّما اللّسانية.

2. غاية خاصة: محاولة الوصول إلى فهم يأمل أن يكون متكامل الأطراف في تفسير النّص وتأويله.

ولقد حاول هذا البحث أن يقدم دراسة وصفية لسورة آل عمران ولم يكن من أهدافه أن ينتقد تراث القدماء، وإنما جاء البحث استجابة لرغبة التجديد في المناهج المعتمدة في تناول النص القرآني، وإن معالجتنا لسورة آل عمران أسلوبياً. تقوم على رؤية نقدية تحاول أن تلامس البنية اللغوية لنص قرآني من جميع جوانبه؛ ولهذا السبب عمدنا إلى الدراسة النّصيّة لقدرتها على تبيّن ملامح الإعجاز الفني الذي يستمد أصوله العامة من السمات الأسلوبية والخصائص الفنية المتفرقة في فضاء النّص.

فقد استفاد البحث من أمهات الكتب القديمة والحديثة كتفاسير القرآن الكريم التي تهتم بالجوانب البلاغية، ممّا يعدّ بحق معيناً خصباً للتحليل الأسلوبي، وقد اتخذ البحث من بعض هذه الكتب منارة هادية يستروح من خلالها جمال الأسلوب القرآني وخاصة بعض التفاسير كالكشاف للزمخشري، وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وروح المعاني للألوسيّ، إضافة إلى المجهودات الحديثة ومنها دراسة محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء "عمّ" وإعجاز القرآن الصوتي، عبدالحميد هنداوي، وكتابات عبدالسّلام المسدّي ومحمد الهادي الطرابلسي وسيد قطب ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم، ولا ينكر البحث استفادته الجليلة من هذه الدراسات كلها بشكل صريح أو ضمني.

وقد انطلقنا في دراسة مختلف الظواهر اللّغوية لسورة آل عمران من الفصل بين مستوياتها التعبيريّة قصد تشريح مكوناتها اللّغوية وفحص خلاياها، وذلك لأغراض منهجية، أنَّ الانسجام والتآلف والتناسق هو أخصّ ما يميز البنية اللغويّة للسورة، ونحن نأخذ بالمنهج الذي يراعي تفاعل مستويات النّص وتآلفها.

وبناءً على النظرة التكاملية التي تجمع بين مختلف السمات الأسلوبية للنص رأينا أن تستند خطة البحث إلى أربعة فصول؛ الفصل الأول المستوى الصوتي، والفصل الثاني المستوى الصرفي، والفصل الثالث المستوى النحوي، والفصل الرابع المستوى الدلالي.

وقد ارتكز البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتخذ الوصف اللغوي وسيلة للكشف عن الملامح التعبيريّة البارزة في النّص، وقد استعين بالمنهج الإحصائي؛ لأنه وسيلة ناجعة بإمكانها إدراك القيمة الدلاليّة لتكرار بعض السّمات الأسلوبيّة في النص.

2.1 الصوت: لغةً واصطلاحاً

الصوت في اللغة: هو الجرس، والجمع أصوات، قال ابن السّكيت[1]: "الصوت صوت الإنسان وغيره، ورجل صيِّت أي شديد الصوت"[2].

وهو بمعناه الاصطلاحي كما عرّفه ابن جني أنه: "عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها"[3].

علاقة الصوت بالمعنى

علاقة الصوت بالمعنى مسألة قديمة فنجد أنَّ هذه العلاقة استرعت انتباه الباحثين منذ العصور الزاهرة لليونان والرومان فقد حازت هذه القضية على اهتمام أفلاطون وأستاذه سقراط[4] وقد تطرق عدد من علماء العرب لهذه المسألة أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه.

وإذا تتبعنا كلام النحاة واللغويين في هذا المجال فإننا نستطيع أن نقف على معالم هادية ومحاولات جادة يمكننا عن طريقها الوقوف على التفات هؤلاء القدماء إلى دلالة الصوت ومناسبته لمعناه. وهذه المحاولات الجادة في هذا السبيل نجد

---

(1) ابن السّكيت، يعقوب بن إسحق أبو يوسف (ت244هـ)، إمام في اللغة والأدب، أصله من خورستان، تعلم في بغداد، من كتبه: صلاح المنطق، الأضداد؛ ابن خلكان، أبو العلا، شمس الدين (ت611هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1975، ج6، ص395، ص401.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت711هـ)، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ج20، ص492.

(3) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد زقزاق إبراهيم وعبدالله أمين، مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1954، ج1، ص6.

(4) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975، ص140-141.

بعضها عند الخليل بن أحمد وكثيرا منها لدى سيبويه في كتابه كما نجدها أكثر وضوحا عند ابن جنّيّ في خصائصه وفي كتابات ابن الأثير ومن بعده، ومما جاء عن الخليل في قوله: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا: (صرّ) وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا (صرصر)"[1].

يقول عبد الحميد الهنداوي: "تلمح هنا إشارة إلى ما بين الفعل الثلاثي المضعف العين (صرّ) وبين معناه من التناسب من حيث بنيته الصرفية ودلالتها على المعنى الإفرادي لتلك الكلمة فنحن نلاحظ أن تضعيف الراء الناشئ عن التشديد فيها فينتج عنه نوع من المطِّ والاستطالة ينشأ عن سمة التكرارية التي تتسم بها الراء وهذا في نهاية الكلمة يناسب ما في صوت الجندب من مدٍّ واستطالة"[2].

فالمناسبة هنا ظاهرة بين أصوات هذه الكلمة ومعناها الذي تدل عليه فإذا انتقلنا إلى كلام سيبويه في هذا الموضع فإننا نجد أنّ سيبويه قد تناول هذه المسألة ووقف عندها إذ يقول: "هذا باب افعوعل وما هو على مثاله مما لم تذكره قالوا خشن وقالوا اخشوشن وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد كما أنّه قال اعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيرا عاماً"[3].

لقد التفت الخليل وسيبويه هنا إلى أثر زيادة المبنى في زيادة المعنى كما التفتا كذلك إلى العرض من تلك الزيادة وهو هنا المبالغة والتوكيد وقد عقد سيبويه لذلك بابا في كتابه وسماه "ما جاء على مثال واحد حيث تقاربت المعاني"[4].

ونحتاج أن نقف أمام بعض هذه المواضع لتأملها وبيان مدى وقوف سيبويه على مثل هذه الظاهرة فلنتأمل على سبيل المثال قوله: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك النزوان والنقزان والقفزان وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ومثله العسلان والرتكان.... ومثل

---

(1) ابن جنّيّ، أبي الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط3، 1987، ج2، ص154.

(2) هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط1، 2004، ص16.

(3) سيبوية، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ص218.

(4) هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص17.

هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك"[1].

نلمح في هذا النص التفات سيبويه إلى الدلالة المشتركة التي توحي بها البنية الصوتية لتلك المصادر (النقزان، والقفزان، والغليان.....) فهذه المصادر قد اشتركت جميعا في بنية صوتية واحدة وهي صيغة (فعلان) بما لها من سمات صوتية خاصة. وإذا تأملنا الدلالة المعجمية لتلك المصادر وجدناها تشترك جميعها في معنى مشترك بينها هو الحركة والاهتزاز والاضطراب وهي تعبر عن الشيء الذي تزداد حركته واهتزازه واضطرابه شيئا فشيئا ثم تطول حركته ويستمر اضطرابه ولا يكون هدوءه فجأة بل يستمر زمنا حتى يهدأ[2].

وإذا تأملنا البينة الصوتية لتلك المصادر التي جاءت على صيغة (فعلان) وجدنا أنّ توالي الحركتين القصيرتين (الفتحتين) وإتباع هاتين الفتحتين فتحة طويلة هي ألف المدّ ثم انتهاء الكلمة بالنون ذات الغنّة المجهورة التي يمتد زمن النطق بها حينا طويلا إذا تأملنا ذلك كله وجدنا تمام المناسبة بين السمات الصوتية لتلك المصادر والمعنى الذي تدل عليه وهو الحركة والاهتزاز والاضطراب الذي يزداد شيئا فشيئا وهذا ما تعبر عنه الحركتان القصيرتان (الفتحتان المتواليتان) ثم تأتي الحركة الطويلة (ألف المد) لتعبر عن طول تلك الحركة، ثم يأتي حرف النون ليعبر عن معنى آخر وهو أن هدوء تلك الحركة لا يكون فجأة بل يحتاج إلى زمن يسير تخفت فيه الحركة شيئا فشيئا حتى تهدأ وهو ما تعبر عنه غنّة النون ذات الصوت المجهور[3].

وإذا كان سيبويه قد التفت إلى العلاقة بين الأصوات والمعاني والتي تدل عليها في مثل تلك المصادر دون محاولة منه في الكشف عن وجه المناسبة بين أصوات تلك المصادر ومعانيها، فإن ابن جنّيّ قد وقف عند إشارات كل من الخليل وسيبويه في هذا المجال ثم أولى هذا الباب عناية فائقة ولم يكتف فيه بالوقوف على

---

(1) هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص18.

(2) نفس المرجع السابق، ص18.

(3) نفس المرجع السابق، ص18.

الظاهرة كهؤلاء بل أخذ يعلل ويبين وجه التناسب بين تلك الأصوات وتلك المعاني وقد علَّل ذلك لمناسبته تلك المصادر لمعانيها تعليلا جيداً. بقوله: "فقابلوا بتوالي حركات المثال (بـ الصيغة) أو البنية توالي حركات الأفعال"[1].

وقد اتجه البحث في دلالة الأصوات عند ابن جنّيّ إلى جهتين متكاملتين هما:

أولاً: النظر إلى صفة الحرف ومخرجه وحاله من حيث التفخيم والترقيق والشدّة والرخاوة والجهر والهمس والإطباق والانفتاح والاستعلاء والاستطالة والتفشّي وغير ذلك، وبحث العلاقة بين هذه الأحوال والصفات وبين الدلالة الوضعية للكلمة.

ثانياً: النظر إلى دلالة الكلمة كتركيب صوتي له بنية وهيئة بعينها، بحيث يبحث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة ومناسبة ذلك التركيب وتلك الهيئة للمعنى الذي وضعت له الكلمة. فقد اهتم ابن جنّيّ بدراسة الدلالة الصوتية على هذين المستويين في باب أسماه "باب مساس الألفاظ أشباه المعاني"[2]. حيث يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج ملتئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما تقدره وأضعاف ما تستشعره"[3].

وهو يشير إلى كثرة هذا النوع من دلالة الأصوات على المعاني في اللغة، ثم يعرض أمثلة له فمما مثّل به للنوع الأول تفريقهم بين الخضم والقضم والنضح والنضخ.

يقول من ذلك قولهم: "خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الركب والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك"[4] ويوضح سرَّ اختلاف الدلالة بين صوتي الخاء والقاف ويجعل ذلك

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص154.

(2) هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص19.

(3) ابن جني، الخصائص، ج2، ص156.

(4) نفس المرجع السابق، ج2، ص156.

راجعاً إلى رخاوة الخاء أي أنها صوت احتكاكي فهو يتناسب مع الشيء الرطب، الذي يسهل أكله وإلى صلابة القاف في صوت انفجاري يتناسب مع أكل اليابس الذي يصعب قطعه[1] يقول ابن جنّيّ: "فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمحسوس الأصوات على مسموع الأحداث"[2].

وإذا كان القدماء كالخليل وسيبويه قد أولوا الجهة الثانية عناية خاصة وهي جهة النظر إلى التراكيب الصوتية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها أقول: إذا كان هؤلاء القدماء قد برعوا في هذا الجانب فإنَّ ما جاء به ابن جنّيّ في هذا المقام يجعل تلك المحاولات مجرد إشارات وومضات مضيئة لا تقارن بما قدم إبن جنّي في هذا الباب إلا من حيث سبقها الزمني وريادتها لهذا الطريق الشائك، فابن جنّيّ يلمح المناسبة بين تلك الحركات المتوالية في صيغة (فعلان) التي جعلت تلك الصيغة -بتركيبها الصوتي وتلك الهيئة- مناسبة أتم المناسبة لمعناها الدال على الحركة والاضطراب.

ولا يقف ابن جنّيّ هنا عند الأمثلة التي ذكرها الخليل وسيبويه بل يزيد على ذلك بأمثلة كثيرة، تحتاج أن نقف أمامها في هذا الباب وقفات متأنية لنرى إلى أي حد تكون المناسبة بين صيغ الألفاظ ومعانيها وفي حديثه عن المصادر ومناسبتها صوتيا لمعناها يقول: "نجد المصادر الرباعية المضعّفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والجرجرة... ووجدت أيضاً (الفعلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو: البشكى، والجمزى"[3]. فجعلوا المثال المكرر للمعنى -المكرر- وناسب بين الصوت والمعنى في الأمثلة السابقة إذ أن هذه المصادر بما اشتملت عليه من تضعيف وتكرير تناسب ما تدل عليه معانيها من التكرير المشترك بين ألفاظ تلك كما يلمح ابن جنّي ما بين (الفعلى) من تكرار الحركات وتلاحقها وتتابعها وما تدل عليه من معنى السرعة والتتابع وتوالي الحركات يؤدي إلى توالي الحركات في النطق بسرعة.

---

(1) هنداوي، عبدالحميد، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص19.

(2) ابن جني، الخصائص، ج2، ص160.

(3) نفس المصدر السابق، ج2، ص152.

يقول ابن جنّيّ: "ومن ذلك –وهو أصنع منه– أنهم جعلوا (استفعل) في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى، واستطعم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمراً، واستصرخ جعفراً، فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال. وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها وقعت عند غير طلب تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع بالصنعة الأصول، فالأصول نحو قولهم: طعم ووهب ودخل وخرج، وصعد، ونزل، فهذا إخبار بالأصول فجاءت عند أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب لها ولا إعمال فيها. وكذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سمت الأصل، نحو أحسن وأكرم وأعطى وأولى فهذا من طريقة الصنعة بوزن الأصل في نحو دحرج وسرهف وقوقى، وزوزى، وذلك أنهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني"[1].

فكلّما ازدادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدل عليه بالغرض منه فلما كانت إذاً فجاءت الأفعال أصول المثل الدالة عليها أو ما جرى مجرى أصولها، نحو وهب، ومنح، وأكرم، وأحسن كذلك إذا أخبرت بأنك سعيت فيها وتسببت لها وجب أن تقدم حروفها الأصول في مثلها الدالة عليها أحرفا زائدة على تلك الأصول تكون المقدمة لها والمؤدية إليها وذلك نحو: استفعل فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام فهذا من اللفظ وفق المعنى المقصود هناك وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأني لوقوع تقدمه ثم وقعت الإجابة إليه فتبع الفعل السؤال والتسبب لوقوعه فكما تبعت أفعال الإجابة الطلب وكذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التي وضعت للالتماس والمسألة نحو ذلك: استخرج واستوهب واستمنح واستعطى واستدنى[2].

ويزيد ابن جنّيّ في بيان المناسبة بين الأصوات والمعاني فيقول: "ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين دليلا على تكرير الفعل، فقالوا: كسّر، وقطّع، فتّح، وغلّق وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ فينبغي أن يقابل به قوة الفعل والعين أقوى من الفاء واللام وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما فصارا سياجاً

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص157.

(2) نفس المصدر السابق، ج2، ص155.

لهما، .... فكلَّما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر، وحقحق، دليلا على تقطيعه"[1].

لقد استطاع ابن جنّيّ في هذا النص السابق أن يكشف لنا عن المناسبة الوثيقة بين صيغة (فعّل) بما لها من سمات صوتية ودلالتها على التكرار في الحدث.

حيث تابع المتأخرون من البلاغيين البحث في هذا الباب، وإن كانت إضافاتهم في هذا الباب لا تعدو كونها مجرد إشارات وتقريرات ومراجعات سريعة يعد بعضها تكراراً لما سبق، ويعد القليل منها من قبيل الإضافات اليسيرة.

أما الدراسات المتأخرة بدءا من ابن سنان وانتهاء بالطيبي والقزويني ومن حذا حذوهما، فقد بحثت هذه الظاهرة تحت ما اصطلحوا على تسميته بـ (الفصاحة) وقد ضمَّنوه شروطا لفصاحة الكلمة يختص بعضها بالنظر إلى أصواتها.

وتأتي الدراسات الأسلوبية على رأس الدراسات الحديثة التي اهتمت بالدلالة الصوتية وبيان العلاقة الوثيقة بين علم الأسلوب وعلم اللغة، وإذا كنا بصدد إسهام الدراسات الحديثة في هذا المجال فلا يفوتنا تلك الوقفة المتأنية (رومان ياكوبسون)، حيث يقول: "إن النظام الصوتي الذي اعتمد –في أيامه الأولى بصورة كبيرة جدا– على تجربة ميكانيكية، ونامية، والموروثة من شكل قديم لعلم الصوت، ليسعى اليوم أكثر فأكثر للتغلب على تلك البقايا القديمة، فمهمته أن يبحث في أصوات الكلام من خلال علاقاتها بالمعاني التي تحملها، أي الأصوات منظورا إليها بوصفها دوالّ"[2].

وفي إطار القرآن، لا شك أن له سمات موسيقية تميزه عن غيره، ولعلَّ موسيقاه هي أول ما يسترعي الانتباه فقد كانت إحدى الجوانب التي أثَّرت في الناس وقت نزوله وإن لم يفهموا بعض معانيه، وهذا ما جعل الرافعي يقول: "فلما قرئ عليهم القرآن رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى وأنه أمر

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، ص155.

(2) ياكوبسون، رومان، ست محاضرات في الصوت والمعنى، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص143.

لا قبل لهم به وكان ذلك أبين في عجزهم، حتى أنَّ من عارضهم كمسيلمة، جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظماً موسيقياً أو باباً منه، وطوى ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني، كأنّه فطن إلى الصدمة الأولى للنفس العربية، إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا أن يكون وزناً من الشعر أو السجع"[1]. إذن فلا شك أن يكون للارتفاع الموسيقي مهمة أساسية في البيان القرآني وهذا ما يراه سيد قطب[2].

يعد الحرف الواحد من القرآن الكريم معجزاً في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها؛ ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة؛ وهذا هو السرُّ في إعجاز جملته إعجازا أبديا"[3].

فقد امتاز القرآن ببنائه الصوتي الذي لا يقترب منه في خصائصه بناء أبدا ولعلّ الأساس في بناء القرآن الصوتي أنّه غير قائم على نظام (الحركة والسكون) في قالب جاهز كما هو معروف في الشعر (عمودياً وحرّاً) الأمر الذي لا يستلزم فرض قالب صوتي قد لا يكون موافقاً للموقف الذي يُصوَّر، أو الصورة التي ترسم. إن القرآن كما كان منحازاً عن الشعر وقوافيه فإنَّه لم يقع أسير التَّوحد الشَّكلي في اختيار المفردة التي تنهي عبارته والتي تفرض نفسها –أي القافية– تفرض نفسها شكلاً لازماً في نهاية كلِّ عبارة في الشعر مما يعني أن الاختيار مشروط أساساً لصيغة تشكيلية تحقق تنغيماً معيناً. كثيراً ما يكون على حساب الأداء الدلالي لمفردة في الحد الأدنى من السلبية إذ قد يتحكم هذا الاختيار المشروط بالفكرة أو الصورة كليا مما سيعني في كل الأحوال قصوراً في الإيصال والتصوير لما يرادُ الإخبار عنه أو تصويره وعلى الرغم من هذا كله فإن القرآن ما كان تاركا أسلوبا مثل هذا –التأثير الصوتي– دون الإفادة التامة من خصائصه التأثيرية والجمالية؛ والقرآن لم

---

(1) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، 1940، ج2، ص224.

(2) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر، 1959، ص76.

(3) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، ص221.

يشترط لنفسه شروطا في التعبير قد تكون حائلاً بينه وبين الدقة في الدلالة والمعنى؛ لذلك ظهرت المفردة القرآنيةُ مستعملةً في نمطية غريبة ما اعتادتها الأذن العربية لذلك فقد عنى القرآن بالجرس والإيقاع عناية بالمعنى وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيرا يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتَّسقة مع جو الآية[1].

هذا القرآن الذي ما أن سمع بعضه الوليد بن المغيرة حتى قال قولته المشهورة: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة...."[2] فما هي الطلاوة التي فيه إذا كانت حلاوته معانيه ودلالاته. أن الطلاوة نابعة من الألفاظ إذ هي أصوات لها تأثير موسيقي خاص يوحي إلى السمع بتأثيرات مستقلة تمام الاستقلال عن تأثيرات المعنى وعن مجرد كون اللفظ رقيقا وغير رقيق لأن لكل كلمة ذائقة سمعية -تكتسبها من استقلالها بحروف معينة- قد تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه مما يجعل الكلمة المختارة مؤثرة أكثر من الأخرى وإن اتحدت معها بالمعنى. حيث يشكل التلاؤم الصوتي بين الألفاظ ضربا من التناغم تناولوه علماء العربية القدماء في بحثهم لتلاؤم الحروف وتنافرها وبيَّنوا ما يتلاءم من هذه الحروف وما يتنافر ووجدوا أن التلاؤم بين الألفاظ ينتج إيقاعا يطرب الفهم[3]، فالإيقاع وقع موسيقي يؤدي فيه النغم دوره مع وضوح في قوة، وسهولة في الوصول إلى القلب[4].

ويعرف سيد قطب الإيقاع الصوتي بأنه الموسيقى التي تنشأ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاص[5].

---

(1) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، 224.

(2) الرازي، محمد الرازي فخر الدين (ت544-604هـ)، تفسير الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1990م، ج1، ص202.

(3) مرعي، عبدالقادر الخليل، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، دار المكتبة الوطنية، ط1، 2002، ص85.

(4) البدراوي، زهران، ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين، دار المعارف، مصر، ط1، 1988، ص22.

(5) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص87.

فقارئ القرآن الكريم والسامع لتلاوته يحسُّ بضرب من الإيقاع الموسيقي المطَّرد والمنسجم مع المعنى والجو العام للسورة وإن هذا الإيقاع منتشرٌ في القرآن كله سواء على مستوى الكلمة الواحدة وعلى مستوى الفقرة وعلى مستوى الآية الواحدة وعلى مستوى السورة كاملة إذ تتميز لغة القرآن بالتلاؤم والتناسب بين الأصوات على مستوى الكلمة أو على مستوى التركيب أو النظم[1].

ومما لا شك فيه أن نتناول في دراستنا في هذا المستوى دراسة الإيقاع في الحرف، والكلمة، والمقطع، والفواصل القرآنية، لإبراز جمال الأسلوب التعبيري في سورة آل عمران.

3.1 إيقاع الحرف

يعد الحرف الواحد من القرآن معجزا في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية؛ والآيات الكثيرة وهذا السر في إعجاز جملته إعجازا أبديا[2].

ومع أن اللغة تتكون من مجموعة من البنيات الصوتية المحدودة العدد، إلا أنها تشكل عدداً لا حصر له من الألفاظ؛ وذلك لاختلاف ترتيبها، وترابطها. وهذه البنيات الصوتية هي ما يعرف في علم اللغة الحديث باسم (الفونيمات) وواحدها (الفونيم) وهو أصغر وحدة صوتية في الكلمة، ويشمل الصوامت والصوائت، والصوائت: هي حروف العلة الطويلة، والقصيرة، أما الطويلة: فهي الألف والواو والياء. والقصيرة: هي الفتحة، والضمة، والكسرة، وبهذا تكون الصوامت هي باقي الأصوات اللغوية، كالراء والخاء والزاي، وغيرها.

والصوت له قيمة سمعية في اللغة العربية، فكل حرف صوتي يرجع إلى مخرجه من جهاز النطق، وقد قام العلماء بتشريح هذا الجهاز، ودراسة أجزائه وبيان مخارج الأصوات والتفريق بينها[3]. فتسمع الأذن ما هو مجهور، أو مهموس، أو ما اتسم بالرخاوة، أو الشدة... وكل من هذا يعبر عن أغراض تتلاءم وإيقاعه في

---

(1) مرعي، عبدالقادر، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ص85.

(2) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ص221.

(3) حركات، مصطفى، الصوتيات والفونولوجيا، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ص46-52.

النص. "ويكون منه اللحن الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضا على نسب معلومة، ترجع إلى درجات الصوت، ومخارجه وأبعاده"[1].

إذ إنَّ القرآن يتجه إلى استخدام ألفاظ تتناسق حروفها من حيث حسن الجوار، مع مراعاة التوازن في مخارج الحروف بين القرب، والبعد، والتوسط، في الكلمة الواحدة. وقد تؤثر صفة الحرف على دلالة الكلمة. ومن ثم على دلالة الآية كاملة[2].

وفيما يلي دراسة دلالية لبعض حروف هذه السورة ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾آية180.

جاءت هذه الآية للحديث عن حال الذين يبخلون بأموالهم وبيان عقابهم. لأن الله حث على بذل الأرواح وإخراج الزكاة وبين الوعيد الشديد لمن يبخل في ماله لأنها لله عز وجل وقد بخلوا فيها وسوف يطوقون بها يوم القيامة[3].

نرى أن بناء "يطوقون" ورد في سياق عدم الالتزام بأمر الله وعدم إخراج ما أمرهم الله من أموالهم لبخلهم وهي صفة ذميمة سيئة في النفس الإنسانية والطوق هو ما استدار بالشيء وأحكم[4] وهذا ما عبر عنه السياق القرآني في الآية فقال "سيطوقون" ليناسب هذا اللفظ صوتيا مع الدلالة المعجمية من الأحرف التي كونت البناء، فالسين حرف مهموس يشي بالتردد لدى البخيل شاركه في ذلك حرف الياء ولكن هذا الطوق ثقيل عليهم يوم القيامة فعبر عنه صوتيا من خلال حرف الطاء مهموس المطبق والمقلقل لحالهم كذلك نجد أن حرف الياء المضمومة والواو عند النطق بهما يشكلان استدارة بالشفتين مثل استدارة الطوق ومن ثم يأتي

---

(1) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق: عبدالله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 1997، ص182.

(2) الدبل، محمد سعيد، النظم القرآني في سورة الرعد، عالم الكتب، بيروت، ص181.

(3) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ج4، ص139.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص231.

حرف النون ليختم المشهد بالإغلاق إذ نجد إيقاع الحروف في هذه الكلمة جاءت متناسبة مع معناها المعجمي.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ آية41.

إذا تأملنا سياق الآية وجدناها عن طلب آية لإثبات حمل زوجة زكريا عليه السلام فجاءت العلامة بعدم مقدرته على الكلام مع الناس إلا بالإشارة ثلاثة أيام بلياليها مع أنّه سويّ صحيح البدن، منع عن الكلام ولكن لم يمنع عن الذكر لله والتسبيح له وذلك أبلغ في الإعجاز وهذا الفضل يستلزم الشكر على هذه المنة[1].

وعند النظر في المعنى المعجمي نجد "سبّح" تعني تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء[2]. وعملية التسبيح تتم عن تكرار اللفظ مرات عديدة وبصوت منخفض غير مسموع فهذا التنزيه والتعظيم هو إقرار للنفس الإنسانية بوحدانية الله، وتنزيهه عن كل نقص.

وعند التأمل في لفظ "سبّح" صوتيا نرى أن حرف السين حرف مهموس يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان برقة ثم يتبعه حرف الباء المذلق ذات المخرج الحسن من بين الشفتين وهو حرف مكرَّر فيه ترديد بوحدانية الله وتعظيمه من كل نقص. كذلك حرف الحاء حرف مهموس رقيق. فنجد صفات الحروف ومخارجها تحاكي عملية التسبيح برقتها وهمسها.

يمكننا أن نقف عند الدلالة الصوتية لكلمة (استزلهم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا . . .﴾ آية155.

قارئ هذا اللفظ يستشعر خفة وذبذبة في نطقها على الأذن، إذ ترسم صورة مجسمة للوقوع في الزلل في خيال قارئها وسامعها على صورة ذلك الإنسان الذي يهتز لعدم وجود توازن يثبته.

---

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984، ج3، ص25.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص470.

وحينما نوازن بين السمات الصوتية لهذه الكلمة وبين سياقها نجد أنها قد جاءت معبرة تمام التعبير عن الفكرة التي سيقت لأجلها. فنجد اللفظ السياقي يشير معجميا إلى الوقوع في الخطأ والذنب والانزلاق فيه[1]. فالسين تحمل في طياتها الهمس وعدم الظهور وهذا يتناسب مع صفة الشيطان الذي يوسوس خفية دون ظهور علني، لكي يستزل صاحب الزلل ويزلقه ليقع بالإثم والخطيئة ويدعم ذلك حرف التاء المهموسة، ثم يتبعها حرف (الزاي) الاهتزازية مما يوحي بانزلاق صاحب الزلل في المعصية وعند التأمل في مقطع (زلّ) نجد صوت هذا المقطع يوحي بصوت الوقوع والانحراف عن الطريق الصواب.

هذا المقطع يحاكي حركة الهز والتحريك المتتابع، ثم يأتي حرف اللام المذلق، ليتابع مشهد الحركة والهز وهو حرف ينشأ من طرف اللسان وهو حرف خفيف ليصور عملية الانزلاق بسهولة وهذا كما يوهم الشيطان الإنسان بالوقوع بالمعصية، ويأتي الصوت المغلق (هم) لينهي المشهد المحزن بوقوع تلك الفئة بالخطأ.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى:﴿ .وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾آية159.

نرى أن هذه الكلمة بجرسها الغليظ تصوَّر بدقة بالغة معنى لفظ "غلظ" إذ نجد في الدلالة المعجمية تعني سوء الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش[2].

حيث نجد أنَّ التشكيل الصوتي لهذا اللفظ يوافق الدلالة المعجمية فنجد حرف (الغين) يعلو عند النطق به فهو حرف مجهور مستعلٍ مرتفع يخرج بقسوة، ثم يتبعه حرف اللام والياء وهما حرفان مجهوران، والغلظة تكون بالجهر والعلانية ثم يختم اللفظ بحرف (الظاء) المجهور المطبقة الانفجارية فصفات الحروف تطابق فعل الغلظة.

لكن السياق القرآني يثبت عكس ذلك فالأنبياء لا يتصفون بالغلظة وإنما بالرقة واللين وهذا ما عبر عنه سياق الكلمة الصوتي في بناء ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص75.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص449.

وَشَاوِرْهُمْ﴾ آية159. فحرف (الفاء) مهموس رقيق وهي تحاكي عملية العفو والرأفة وجاءت البنية النحوية لنفي الغلظة عن الأنبياء ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود حرف الشرط (لو) فهو يحمل في طياته امتناع الغلظة عن الأنبياء والرسل.

وقريب من الآية السابقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ...﴾ آية116، 117.

إن هذه الكلمة بجرسها الصفيري تصور صوت الريح، شديدة البرودة. وإذا تأملنا سياق الآية وجدناها تتحدث عن الذين كفروا وكانوا يفتخرون بالأموال والأولاد وهؤلاء لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله عز وجل[1].

فأعمال هؤلاء كمثل ريح فيها صر، ولفظ صر تعني "البرد الشديد المميت لكل زرع أو ورق"[2]. حيث جاء التشكيل الصوتي لهذه الكلمة (صرّ) متناسبا تمام المناسبة مع هذا المعنى حيث يتميز حرف الصاد في هذه الكلمة بصفة الصفير الشديد إذ تحاكي عملية صوت الريح شديدة البرودة إذ هو يصور لنا صورة صوت الريح التي بعثها الله لعقاب أولئك الذين كفروا ثم يأتي بعد ذلك حرف الراء المجهور ليظهر لنا عملية تتابع عملية الريح وبيان قوتها.

ومن هنا تأتي مناسبة هذا اللفظ ليعبر بهذا التشكيل الصوتي عن شدة العقوبة لهؤلاء القوم الذين اتخذوا أولادهم وأموالهم سدا منيعا يصدّ عنهم عذاب الله.

4.1 إيقاع الكلمات

تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتي، من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد، وإنك لتجد القرآن

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص65.

(2) نفس المصدر السابق، ج4، ص67.

الكريم يستخدم هذه الوسيلة البلاغية باقتدار رائع، فالصوت المفرد يختار بعناية، وتصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التبادل أدلُّ على المعنى وأكثر تصويرا له[1] ذلك أن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان[2].

لذلك كان الإيقاع في القرآن يتكون من وحدات تكرارية والوحدة الإيقاعية لها نبر بنظام ما وبترتيب معين وعندما تتكرر الوحدات لتحدث مرة ثانية وبالطريقة نفسها عندها يأتي الإحساس بالتكرار المنتظم وهكذا ينشأ الإيقاع ويدرك ويحس[3].

ولعل من أبرز التناسب الجمالي في ظواهر الأشياء هو الانسجام في التكرار، والتكرار في التعبير الأدبي هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا[4] وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني لتقوية النغم في الكلام[5].

وورود التكرار في القرآن دليل على قيمة أدائه في التعبير البياني والقرآن الكريم خاطب العرب بما يألفون من الأساليب وبكلام يدركون مواقعه ومراميه فقد استخدم التكرار لأغراض عدة منها: المدح وذلك في قوله تعالى:

﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة، آية10-11، وما جاء على سبيل الوعيد والتهديد قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾ الحاقة آية 1-2، وما جاء لغرض الاستبعاد في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ المؤمنون، آية36.

---

(1) نحلة، محمود، دراسات قرآنية في جزء عم دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص160.

(2) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص101.

(3) ربيع، عبدالله، علم الصوتيات، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط2، 1988، ص298.

(4) هلال، ماهر مهدي، جرس الألفاظ ودلالتها، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980، ص239، 240.

(5) القيرواني، أبي علي بن رشيق، العمدة، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص683.

وأُحبُّ أنْ أُقرّ هنا أنَّ هذا البحث ليس جديدا في هذا الجانب، فقد سبق أن التفت إلى القيمة الفنية للتكرار الصوتي عدد من الباحثين المحدثين وقد حاول كل واحد من هؤلاء المحدثين ذكر أقسام هذا النوع وقد أخذت من تلك المحاولات.

وسوف أعرض هنا لأقسام التكرار الصوتي في خطة هذا البحث مع ذكر بعض الأمثلة والنماذج لنقف على القيمة الجمالية والفنية للتكرار الصوتي.

ويمكننا أن نقسم التكرار الصوتي في سورة آل عمران إلى هذه الأنواع:

أولا: تكرار حرف.

ثانيا : تكرار مقطع.

ثالثا: تكرار اسم.

رابعا: تكرار فعل.

خامساً: تكرار التركيب.

1.4.1 تكرار الحرف

من أمثلة تكرار الحرف في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آية31.

نلاحظ أن تكرار الباء في الموضع الأول قد جاء مع الإدغام عن طريق التشديد ما أضفى على الكلمة نوعا من الإجلال والوقار يزيد محبة العباد لربهم فهي ليست كمحبة الأزواج والأولاد.

أما في محبة الله تعالى لعباده التي جاءت على سبيل الجائزة والمكافأة لمحبتهم إياه فقد جاء التكرار بفك الإدغام في الحرف المشدد مناسبا لمضاعفته سبحانه تلك المحبة عليهم أي غرض التكرار هنا التكثير والمبالغة في المحبة.

كما أن لهذا الفك للإدغام معنى آخر نستشفه من الآية. وهو أنَّ لفظ (يحببكم) بفك الإدغام من الرقة ما ليس في اللفظ المدغم فالناطق بالكلمة بهذه الطريقة يستشعر –ولله المثل الأعلى– في اللفظ تدليلا وتنعيما للمخاطبين كما يوحي تكرار الباء الشفوية الرقيقة ذات المخرج القريب، بزيادة تقريبه إياهم ومضاعفة المحبة لهم إزاء محبتهم إياه. وقد جعل الله تعالى الجزاء من جنس العمل، فيجعل جزاء هؤلاء

الصادقين في محبته محبة مضاعفة منه سبحانه لهم. فكان في فك الإدغام في البـــاء المشددة ما يشعر بمضاعفة محبته تعالى وبسطها ومدها لمن أحبه واتبع ورسوله.

ومن أمثلة تكرار الحرف قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ آية 47.

نلاحظ أن تكرار حرف السين في لفظ (يمسسني) قد جاء متتابعا ما أضفى على الكلمة نوعا من الطهارة وحسن الأخلاق والإصرار عليها. وحرف السين بمـــا لـــه طبيعة احتكاكية مهموسة يحاكي صورة الملامسة بين الذكر والأنثى.

وجاءت البنية النحوية تؤيد هذا القول بأداة الجزم (لم) لنفي وجزم بأنهـــا لـــم تمس لا من قبل ولا من بعد، فجاء التكرار للتأكيد على طهارة مريم لأنها منـــذورة لخدمة البيت المقدس.

2.4.1 تكرار المقطع

من أمثلة تكرار المقطع في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آية 185.

نلمح في هذا المثال أن الفعل "زحزح" يتركب من تكرار مقطع (زح) وهـــذا التكرار الصوتي لهذا المقطع يحاكي عملية الزحزحة وتصورها؛ ذلك أن الزحزحـــة لا تتم دفعة واحدة، وإنما تتم على مرات متكررة ومحاولات متعددة لتحريك شـــيء ثقيل من مكان ثابت، لذلك نجد أن فعل (زحزح) مضعف المقطع (زح) حيث يعبـــر بتضعيفه وتكراره من هذا الحدث ويصوره أتم التصوير.

كما أن اختيار الفعل بهذين الحرفين بما يشـــتمل عليـــه الأول مـــن الجهـــر والاهتزاز والثاني من الهمس يوحي بصوت المُزيح للشيء عند إزاحته وما يخـــرج من صوت يعبر عن شدة المعاناة، حيث يبدأ بما يشبه الزفرة وينتهي إلى مـــا يشـــبه السكون والهمود في كلمة (زح).

وإذا كانت الزحزحة إنما تكون عبارة عن محاولة تشتمل على المعاناة والجهد الشديد من جراء إزاحة الشيء الثقيل وتحريكه، فمن هنا تأتي مناسبة هـــذه الكلمـــة (زحزح) للتعبير عن مدى صعوبة الأمر في الخلاص من النار.

وإذا كانت الزحزحة عبارة عن تحريك يسير ونقله لمسافة قصيرة جدا للجسم المُحرَّك، أو المُزَحزَح بحيث لا تكاد تحس به. ومن هنا تأتي مناسبة هذا اللفظة من جهة أخرى وهي بأنَّها تعبر بهذا التشكيل الصوتي لتكرار المقطع (زح) أن تحقق الفوز والسعادة إنما يكون بمجرد الابتعاد لأدنى مسافة من النار فهذا لا محالة فوز عظيم لا يكاد يقدر لمن عاين أهوال ذلك اليوم ولمن رأوا النار فظنوا أنهم في هلاك بنار جهنم.

3.4.1 تكرار الاسم

ومن أمثلة تكرار الاسم في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آية105.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آية177.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ آية178.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آية188.

من أبرز صور التناسق الجمالي في النص القرآني ورود التكرار في القرآن مما يؤدي إلى تناغم الجرس وتقويته ويجعله مستقرا بالأذهان. ذلك أن تكرار الاسم في سورة آل عمران بشكل عمودي وسيلة من الوسائل الأسلوبية التي يستخدمها القرآن الكريم باقتدار وبراعة تمشيا مع متطلبات المقام أو الموقف المراد تصويره. فالقرآن الكريم لا يكرر بناء إلا ليقدم لنا من خلاله معنى جديداً.

فتكرار لفظ (عذاب) بشكل عمودي جاء لترسيخ فكرة العذاب للذين تفرقوا من يهود ونصارى إلى فرق، واختلفوا في استخراج التأويلات الزائغة وتحريف الآيات بعد ما جاءهم البينات والكذب على الرسول وتكذيبه. فتأتي كلمة (العذاب) مكررة بإيقاعها الشديد لتبين لهم شدة ما ينتظرهم في الآخرة فجاءت اللفظة لتؤكد وتقرُّ في إثبات العذاب لهؤلاء الفئة.

4.4.1 تكرار الفعل

ومن أمثلة تكرار الفعل في قوله تعالى:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ آية141.

﴿. . .وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آية154.

نجد أن معنى التمحيص هو التطهير والتنقية[1]، فقد اتخذ التكرار هنا شكلا عموديا وفي النظر في طبيعة هذا التكرار من الناحية الدلالية نجد أن هذا التكرار يرسخ ويعمق الفكرة لدى القارئ، إذ يعتبر هذا التكرار بمثابة جرس تنبيه يشد القارئ إلى التمعن لما يريد النص القرآني إيصاله. ومن أنواع تكرار الفعل التكرار الأفقي وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آية21.

جاء الحديث في سباق الآية عن ذم الله لأهل الكتاب الذين حرَّفوا الحقيقة وارتكبوا الآثام وانتهكوا الحرمات وكذبوا بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقتل من ساروا على نهج الأنبياء بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإقامة العدل، هذه الفئة الضالة جزاؤهم بأن لهم عذاباً أليماً[2].

ويقول أبو السعود: "ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت"[3] ففي الآية الأولى جاء الحديث عن قتل الأنبياء بسبب نشر دين الله وجاءت الآية الثانية بالحديث عن قتل من اتبعوا الرسل وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

وعند التأمل في التكرار نجده يأخذ شكلاً أفقياً وبالنظر في تكرار الفعل "يقتلون" يصبح التكرار بمثابة منبِّه فني يندفع المعنى منه. حيث نجد أن تكرار هذا

---

(1) الأصفهاني، الراغب (ت425هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1992، الجزء الثاني، ص460.

(2) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1993، ج2، ص208.

(3) أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ت982هـ)، وضع حواشيه عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص19.

اللفظ يجعله بمثابة المركز الذي يدور حوله الحديث[1]. ومن خلال هذا التكرار الجميل الذي يمتاز به القرآن الكريم نجد أنَّ الآيات تأخذ برقاب بعض من ناحية ومن ناحية أخرى تزيل السأم عن القارئ إذ هي بمثابة محطات استرجاع للقارئ لشدِّه من جديد للتأمل والتمعن.

5.4.1 تكرار التراكيب

استخدم القرآن الكريم في سورة آل عمران أسلوب تكرار التراكيب النحويَّة ذاته لزيادة الرصيد الموسيقي للسورة ومن أمثلته قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية2.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آية6.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آية18.

وهذا التكرار هو وسيلة لمعاودة تذكير المخاطب بوحدانية الله. إذ نجد أنَّ هذا التركيب قد تكرر أربع مرات فهذا أمر ملفت للبحث إذ أنَّ الجملة بذاتها لها من الأهمية ضمن السياق ما دعا إلى تكرارها. ففي الإطار العام للنص القرآني الذي يضم هذه الآيات نلحظ ما يقدمه الله عز وجل من أدلة وبراهين على وحدانية الله عز وجل.

ففي الآية الأولى يخبر الله عز وجل عباده بأنَّ الألوهية خاصة به دون سواه من الآلهة والأنداد رداً على من قدموا إلى الرسول من نصارى نجران يحاججونه في عيسى عليه السلام حيث قالوا أن عيسى هو الله وبعضهم قال بأنه ولد الله وبعضهم الآخر قال بأنه ثالث ثلاثة. فافتتحت السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا ردا عليهم مما ابتدعوه من الكفر وجعلوا مع الله ندا. فقد وصف نفسه بالبقاء الأزلي، وإنه قائم على كل شيء يكلأه، ويحفظه ويرزقه فهو ثابت لا يزول[2].

---

(1) فضل، صلاح عبدالصبور، سمات أسلوبية في شعر صلاح عبدالصبور، مجلة فصول، ع1، 2 أكتوبر، 1986-1987، ص89.

(2) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1989، اج3، ص162.

ونجد في الآية الثانية برهاناً آخر وهو دليل قاطع بوحدانية الله عز وجل، فكان عيسى ممن صور في الأرحام فهذا شيء لا ينكرونه، فكيف يكون إلاهاً وقد كان بذلك المنْزل فكيف يكون إلاهاً. فيرد الله على وفد نجران الذين قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولو كان إلاهاً لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه لأنه خلاّق ما في الأرحام، لا تكون عليه الأرحام مشتملة وإنما تشتمل على المخلوقين، ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بأنه عزيز وحكيم يقيم الأدلة والبراهين لمن أشركوا به[1].

وفي الآية الثالثة افتتحت بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. أي بمعنى بين وأعلم والشاهد هو الذي يعلم الشيء ويبينه فقد دلّنا على وحدانية بما خلق وبيَّن كذلك تشهد الملائكة وأولوا العلم بوحدانية فهم يشهدون ويقرون بالوجدانية[2]. يقول الكرماني في تفسير هذا التركيب[3]: "﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. ثم كرر في هذه الآية فقال (لا إله إلا هو) لأن الأول جرى مجرى الشهادة وأعاده ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود".

فتكرار التركيب الثاني نفسه أثار التنبيه عند المتلقي فجاء التكرار بشكل عمودي وأفقي في سورة آل عمران مما أثار هذا التكرار إيقاعا جميلا في السورة فجاء التكرار ليؤدي معنى التأكيد والإقرار بوحدانية الله.

ومن أمثلة تكرار التراكيب يظهر ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آية104.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ آية 110.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج3، ص169.

(2) الشوكاني، محمد بن علي محمد (ت1250هـ)، فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص175.

(3) الكرماني، محمد بن حمزة (ت505هـ)، أسرار التكرار في القرآن الكريم، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1977، ص88.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آية 114.

نلاحظ أن هذا التركيب قد تكرر ثلاث مرات. إذ هي بمثابة منبِّه للمخاطب وتأكيد بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ففي الآية الأولى جاء التركيب بعد امتداد سياقي للآية التي قبلها في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آية103.

أي بعد أن أنقذكم من الكفر وهداكم إلى السراج المنير وكنتم على شفا حفرة من نار جهنم وكنتم قبائل متناحرة في الجاهلية أصبحتم إخوانا متحابين. ثم تأتي دعوة الله لكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذلك بأنهم يتصفون بالفلاح أي الفوز عند الله عز وجل.

أما سياق الآية الثانية، فقد جاء بمدح أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– بأنها كانت خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عرفوا الإسلام حق المعرفة فطبقوه. وعملوا به ولم يخفوه ولم يحرفوه أمثال اليهود والنصارى ذلك بأن لهم نار جهنم وضربت عليه الذلة والمسكنة[1].

ثم تأتي الآية الثالثة بالحديث عن أهل الكتاب أنفسهم وتبين درجاتهم عند الله تعالى ذلك من يقرأ القرآن ويرتله ويقوم الليل والناس نيام ويؤمن بالبعث ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع بالخيرات فذلك هو الصالح الذي صلح دينه فكان ثوابه الجنة.

فنلاحظ أن التكرار قد جاء بشكل عمودي في الآيات السابقة مما أدى إلى تعميق وترسيخ صفات أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى من نهجوا نهجه، ممَّا شكل هذا التكرار في التراكيب إيقاعا جميلا جعل الآيات كحلقات متتابعة مترابطة لتصور الإطار العام عن صفات من اتبعوا محمد عليه السلام.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص312.

5.1 إيقاع المقاطع

يعتبر المقطع الصوتي من ألطف الوسائل الصوتية التي يرتكز عليها النص القرآني في خلق الانسجام الصوتي بين الآيات إذ "ليست الكلمة العربية إلا مجموعة من المقاطع الوثيقة الاتصال التي قد لا تنفصم أثناء النطق والتي تظلُّ ميزة واضحة في السمع الذي يساعد بلا شك على تحديد المعنى"[1].

إنَّ معرفة نسيج كلمات سورة آل عمران ينبغي أن يخضع إلى تقسيم الوحدات الصوتية إلى مقاطع صوتية وذلك بتحديد طرفي الكلمة وفي بعض الأحيان يصعب تحديدها إذ "ليس من السهل في بعض الحالات تحديد معالم الكلمة ومعرفة أين تبتدئ وأين تنتهي أو تقسيمها إلى مقطع (Syllables) وذلك لأن تحديد الكلمات يقوم على أسس معقدة فالكلمة العربية تتألف في حالتها المجردة من أصوات مقطعية رتيبة تأتي الواحدة منها بجانب الأخرى"[2].

وقد يكون السبب وراء صعوبة تحديد معالم الكلمة أثناء التشريح المقطعي هو اختلاف اللغويين المحدثين في ضبط معنى المقطع وتعريفه تعريفا دقيقا قد يزيل رسم معالم الكلمة ولعلَّ من أنسب التعريفات التي نراها صالحة لتحديد المقطع هو: "نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية، بمعنى أنه وحدة صوتية أكبر من الفونيم (الصوت اللغوي) وتأتي مباشرة بعده من حيث الأبعاد الزمنية في النطق والمكانية في الكتابة"[3].

والمقاطع الصوتية كما هو معروف في اللغة العربية "نوعان متحرك (Open) وساكن (Closed) والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمَّا الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن"[4]. إذن سبيلنا في تحديد أنماط المقاطع الواردة في سورة آل عمران يستند أساسا إلى المقاطع الأكثر بروزا وتميزا

---

(1) طحان، ريمون، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ج1، ص70.

(2) نفس المصدر السابق، ج1، ص7، انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1976، ص238-243.

(3) بركة، بسام، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص97.

(4) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1981م، ص159-160.

من الناحية الصوتية، ولعلَّ الذوق الفني والحس الروحاني كفيلان بالتماس الدور الإيقاعي والجمالي لهذه المقاطع.

فالوحدة المقطعية في النص القرآني تخضع لنظام محكم، ذلك أنها ترد وفقا لمقتضيات السياق ومتطلبات المقام. ومن أحسن استعمالات المقاطع الصوتية في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ آية3.

إن تحليل هذه الآية إلى مقاطع صوتية يبرز اختيار القرآن لمقاطع معينة دون غيرها، لأن المقام يستدعي هذا الانتقاء والاختيار وهذا ما نلاحظه من هذا التشريح المقطعي.

نَزْ – زَ – ل – عَ – لَيـ – كَلْ – ك – تا – ب – بِلْ – حَقْ – ق – مُـ – صـَدْ – د – قاً – لِ – ما – بيـ – ن – ي – دَيْ – هـِ – وَ – أن – ز – لت – – ات – تو – را – ــة– ول– إن – جيـ – ل.

الملاحظ على هذه الآية أنها اشتملت على أربعة وثلاثين مقطعا وبلغ عدد المقاطع المقفلة أربعة عشر مقطعاً. فنجد أن القرآن قد استخدم المقاطع المقفلة التي تنتهي بالسكون لتعبر عن مقامات الجد والصرامة والحسم[1].

فالمقاطع في هذه الآية حادة تناسب معنى الجد والفصل وتعبر عنه خير تعبير فجاء السياق ليتحدث عن نزول القرآن وعظم شأنه حيث جاء مصدقا للكتب السماوية السابقة كذلك جاء ليفرق بين الحق والباطل.

فهذه الآية خطاب لسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– تتضمن دلائل وبراهين قاطعة بأن القرآن من عند الله عز وجل كذلك التوراة والإنجيل ذلك ليكون دليلاً قاطعاً وحجة واضحة للذين أخذوا يشككون في صدق الكتب ونبوة محمد – صلى الله عليه وسلم– الإنجيل والتوراة من عند الله كذلك القرآن وما نزل فيه هو من عند الله فمن يؤمن بالتوراة والإنجيل وجب عليه الإيمان بالقرآن لأنه كتاب سماوي فالمنزل واحد هو الله عز وجل.

---

(1) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1970م، ص321.

فقد روعي في الآية إيقاعا جميلا -كان مناسبا لجدية الأمر وإثبات الأدلة القاطعة- وتوزعت باقي المقاطع المفتوحة بين القصيرة والطويلة، ولعل أظهر جزء في هذه المقاطع ما نلاحظه بشكل واضح في هذه الخصائص الصوتية التي تتسم بالامتداد الصوتي وهي "تا، ما، ي، و، را ..." وأكبر الظن أن المقاطع الطويلة تجسد مقام الرفعة والتعالي لله عز وجل وقدرته على الإيجاد بحيث لا ينازعه شريك في ذلك.

ولننظر الآن في استخدام التعبير القرآني البليغ للمقاطع المفتوحة لتعبر عن لون من التعبير الهادئ المريح الذي تطرب له النفس كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ آية 198.

ألا ترى أن هذه المقاطع المفتوحة التي تنتهي بصوائت طويلة: (لا، ذي، قو، تا، ري، ها، خا، دي، في، ها، لا، ما، لا، را) تعبر عن هذا النعيم الذي أعد للذين اتقوا ربهم حيث نجحت هذه المدّات في تصويرها إلى حد كبير.

وفي آية أخرى يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آية200.

نجد أن تشريح هذه الآية جاء على النحو الآتي:

يا – أي – ي – هلْ – لـ – ذي – ن – آ – مـ – نو – اص – ب – رو – و – صا – ب – رو – و – را – ب – طو – وت – ت – قل – لا – هـ – ل – عل – ل – كم – تف – ل – حو – ن.

جاءت هذه الآية بوصايا جامعة للمؤمنين تجدد عزيمتهم وتبعث بهم الهم للاستعداد للعدو كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة فأمرهم بالصبر الذي فيه جميع الفضائل وخصال الكمال ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه العدو وهذا النوع من الصبر أشد ثباتا في النفس وأقر به، وأوصاهم بالمرابطة ليكونوا دائما على حذر من عدوهم[1].

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص408.

ولعل في تكثيف المقاطع الطويلة ما يشير إلى إظهار المشقة والتعب لأن تلك الوصايا ليست بالسهلة بل تحتاج قوة عظيمة بالنفس الإنسانية. وقد ساند ذلك حرف الراء المكرر ليحاكي عملية الاستمرار في المشقة بالصبر والرباط فكانت (المدّات) تعبر أسمى تعبير عن تلك الوصايا التي تحتاج إلى نفس متمرسة قوية.

إذ نجد أن المقطع الطويل الممدود المفتوح في النظام الصوتي لهذه الآية أدّى وظيفة موسيقية في النظم وجعل هذا النظم الموسيقي مناسبا للمعنى "فتوزيع المقاطع الصوتية بأنواعها المختلفة يقوم على مراعاة التناسب الصوتي الذي يجعل الصياغة لذيذة تأخذ القلوب والأسماع وعلى مسايرة المعاني والصور والمشاهد، فيلوّن حركة الإيقاع باللون المناسب للمقام، شدة، وحدة، وارتخاء، وبطئا، وسرعة"[1].

6.1 إيقاع الفاصلة

تعد دراسة الفاصلة القرآنية على تباين درجاتها واختلاف أنماطها من صميم الدراسة الصوتية حيث تمثل إيقاع البنية العامة الذي يتعلق بتوازن الصيغ وانسجامها.

والفاصلة لغة تعني "بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين فصل. والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة"[2].

أما من حيث هي علم اختص بالقرآن الكريم فقد عرّفها علماؤنا الأجلاء منهم الرماني[3] والباقلاني[4] والزركشي[5] والسيوطي[6]، ورغم الاختلاف بينهم في تعريفها إلا أنّه يمكن القول بأن الفاصلة هي النهاية التي يختم بها الآيات القرآنية.

---

(1) أبو زيد، أحمد، التناسب البياني في القرآني، ص328.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص521.

(3) الرماني، علي بن عيسى بن عبدالله (ت384هـ)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص97.

(4) ابن القيم، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر،إعجاز القرآن، شرح وتعليق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، ص299.

(5) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، خرج أحاديثه وقدم له: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج1، ص83.

(6) انظر للاستزادة: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، حققه: عصام فارس الحرستاني، خرج أحاديثه: محمد أبو صعليك، دار الجيل، بيروت، 1998، ط1، ج2، ص267.

إذن يمكن الاستنتاج أن موقع الفاصلة في نهاية الآية. وهي تحمل جزءا كبيرا من الوقع الموسيقي، وقد أجمع القدماء على القيمة الجمالية لها وأولوها عظيم القدر وجليل الفائدة حيث يقرُّ الزركشي بهذه المكانة قائلا: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها"[1] ولعلّها أخذت من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾. وربَّما سميت بذلك لأن بها يتم المعنى ويزداد وضوحا وقوة، ولا يجوز تسميتها قوافي لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا، ولا يجوز تسميتها سجعاً ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم[2].

يبدو مما سلف أن ما اتفق عليه أئمة علوم القرآن وعلماء اللغة هو أن نهاية بيت الشعر تسمى قافية ونهاية جملة النثر تسمى سجعا ونهاية الآية تسمى فاصلة.

ومهما يكن من أمر فإن السجع عند العرب مهمته لفظية تأتي لتناسق أواخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها فيكون الإتيان به لسد الفراغ اللفظي وأما مهمة الفاصلة القرآنية فليس كذلك بل مهمته لفظية ومعنوية بوقت واحد إنها مهمة فنية خالصة فلا تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني ولا اشتطاط بالمعاني من أجل الألفاظ بينما يكون السجع في البيان التقليدي مهمته تنحصر بالألفاظ غالبا لذلك ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغيا ودلاليا عن مستوى السجع فنيا وإن وافقه صوتيا[3].

وقد تناول المحدثون الفاصلة القرآنية وأهميتها في النص القرآني وبيان الموسيقى والإيقاع الذي ينشأ عن طريق الحروف ودلالتها[4].

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص54.

(2) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ج2، ص220.

(3) نفس المصدر السابق، ج2، ص224.

(4) انظر للاستزادة: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص216، انظر: بدوي، (أحمد أحمد)، فن بلاغة القرآن، مكتبة النهضة، مصر، 1950، ط5، ص75-89. انظر: عبدالرحمن، عائشة، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، مصر، 1971، 235-258.

1.6.1 التغير في الفاصلة

نجد أغلب سور القرآن لا سيما الطوال منها أخذت بنموذج التغير في الفواصل ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم اختار أعذب الفواصل وأنقاها لعرض موضوعاته. ولعل السر في هذا التغير يُعزى إلى القيمة الجمالية والفنية للفاصلة فضلا عن مناسبتها للغرض المراد تبيانه "لأن حق الفاصلة أن تكون ممكنة في مكانها مستقرة في موضعها، مطمئنة في قرارها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما، بحيث لو طرحت الفاصلة جانبا أحس صاحب الذوق السليم والفطرة الطيبة أن الكلام مفتقر إليها..." [1].

والملاحظ أن إتباع سورة آل عمران أكثر من نمط من الفواصل له ما يبرره جماليا وإيقاعيا إذ "قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك"[2]. كذلك يؤدي تنوع الفاصلة إلى تجديد نشاط القارئ ودفع الملل عنه وخلق عنصر المفاجأة للقارئ.

وقد استند التغير في الفاصلة في سورة آل عمران إلى دعامتين هما:

2.6.1 المراوحة بين الفواصل في الكم الموسيقي

إذ تتخذ سورة آل عمران للتعبير عن موضوعاتها وسيلة المراوحة بين الفواصل حيث تنطلق بفواصل طويلة ثم بفواصل أطول قليلا، وأحيانا بفواصل متوسطة.

والناظر في آراء علماء البلاغة العربية قديما يلحظ أنهم يميلون إلى الفاصلة القصيرة لخفتها وسهولة حفظها ويستكرهون الفواصل الطويلة لتكلفها وصعوبة حفظها، ولكن طبيعة توزيع الكم الموسيقي للآيات مستند إلى ركن متين وهو في رأينا سياق الآية ومقامها فالدلالة المعنوية هي المحرك الجوهري لهذا التوزيع.

ومن أحسن المواطن استعمالا لنمط الفواصل الطويلة في قوله تعالى:

---

(1) لاشين، عبدالفتاح، الفاصلة القرآنية، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982، ص155.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص68.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آية14.

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آية15.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آية16.

نلاحظ من خلال الكم الموسيقي لهذه الآيات أن الآيتين الأولى والثانية أطول من الآية الثالثة حيث يرقى عدد كلمات الآية الأولى إلى اثنين وعشرين كلمة والآية الثانية إلى عشرين كلمة أما الآية الثالثة فهي عشرة كلمات فقط.

وهذه الزيادة لها ما يبررها دلالياً وذلك أن هذه الآيات هي وصف للذين أغرَّتهم الحياة الدنيا وانشغلوا بالنساء والبنين والأموال والأنعام والزرع فكل هذه الأشياء هي شهوات الدنيا الفانية. لكن الله عز وجل عنده حسن المرجع والثواب، فكان لزاما أن تستوفي هذه الصورة الفنية الرائعة أطرافها قصد التنكيل بعقول هؤلاء الذين شغلتهم الشهوات وزينتها الزائلة عن ذكر الله ولزوم أمره، ذلك لأنَّه حُسن المرجع.

ثم تأتي الآية الثانية في سياق الحديث عن حياة الآخرة وذلك لمن ترك شهوات الدنيا ففيها جنات فسيحات تجري من خلال جوانبها وأرجائها الأنهار الخالدة، وأزواج منزهة عن الدنس والخبث، يختلفن عن نساء الدنيا ولهم من ذلك النعيم، ورضوان من الله يعطى كلا بحسب ما يستحقه من العطاء.

أما الآية الثالثة فقد جاءت للحديث عن صفات هؤلاء المتقين الذين استحقوا الخلود في دار النعيم هؤلاء آمنوا بالله وكتبه ورسله ويطلبون النجاة من عذاب جهنم.

فزيادة الكم الموسيقي صاحبه زيادة في الكم الدلالي فكان بإمكان القرآن الكريم أن يساوي بين الفواصل الأولى والثانية والثالثة دون هذا الفائض الكمِّي ولكن من الناحية الجمالية والفنية فإن تساوي الفقرات لا يحدث هذا العدول إذ أن كلمة

(المآب) و(العباد) و(النار) قد أحدثت نغما موسيقيا عذبا إذ أحدث تغير الفاصلة نوع من التطريب وخلق عنصر المفاجأة مما يطرد الملل.

ومن هنا فإن طول الفاصلة الأولى ساعد على توسيع المجال الدلالي لهذه الآيات فكان طول الفاصلة معبرا عن كثرة شهوات تلك الفئة الذين تكالبوا على الدنيا. كذلك جاءت الآية الثانية لتدل على كثرة الأجر والثواب والنعم الموجودة في الحياة الآخرة. أما الآية الثالثة فقد جاءت لتعبر بقصرها على الأسس والمبادئ البسيطة التي تدخل الجنة ولا تحتاج إلى مشقة من الإيمان بالله وكتبه ورسله والاستغفار.

3.6.1 التوزيع الإيقاعي

الغرض من التوزيع الإيقاعي في سورة آل عمران استكشاف المنحى النغمي للسورة من حيث تتبع مسار بعض النماذج بالفواصل تصاعدا وتنازلا واعتدالا وهو ما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة التنغيم وهو "مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام ويسمى أيضا موسيقى الكلام.. والكلام تختلف نغماته ولحونه وفقا لأنماط التركيب والموقف ويساعد هذا الاختلاف على فهم المعنى المقصود"[1].

ومن ألطف الآيات المعبرة عن التصاعد النغمي في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ * ﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ آية2-3.

إننا نشعر ونحن نقرأ هاتين الآيتين بهذا التصاعد النغمي والصعود الإيقاعي جاء معبرا عن مقام الاستعلاء والوحدانية والتصرف المطلق في الكون كما نجد في آيات أخرى أن النغم يعول على التصويت الشديد والإيقاع المثير كقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آية11. وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية12.

---

(1) بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، دار المعارف، مصر، 1975، ط4، ص163.

ولعل ما يعزز هذا الإيقاع الشديد للآيات أنها جاءت في سياق الحديث عن قوم آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم التي أشركت بالله تعالى. بعد ما رأوا الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى. فكانت الآيات السابقة بمثابة وعيد لهم على ما اقترفوا من ذنوب ومعاصي وإيذائهم الأنبياء والرسل.

وقريب من الآيات السابقة نجد نمطا إيقاعيا متميزا وهو انخفاض الإيقاع ثم تصاعده ويظهر ذلك في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ آية55.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ آية56.

إن هذا التلون الموسيقي والتنوع الإيقاعي ناسب تلون دلالات الآيات إذ انطلق النص بإيقاع منخفض هادئ ليعبر عن رقة مخاطبة الله عز وجل لعيسى عليه السلام بأنه رافعه ومطهره وجاعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا ثم جاء الإيقاع الشديد الصخب الشديد ليعبر عن الوعيد والتهديد لهؤلاء الفئة التي كفرت ويتوعدهم بأن لهم عذاب بالدنيا والآخرة. فجاء الإيقاع في سورة آل عمران يتناسب مع السياق الدلالي في الآيات.

4.6.1 أنماط الفاصلة القرآنية

اختلف علماء البلاغة في تحديد أنواع الفاصلة القرآنية، وتضاربت أقوالهم بين زيادة عددها ونقصانها، ولا نريد سرد أوجه الخلاف وأسبابه وأدلته[1] فهذا ليس من صلب موضوع البحث وحسبنا أن نشير إلى أنماط الفاصلة كما ظهر لنا من خلال تتبعنا لآيات سورة آل عمران.

---

(1) للاستزادة: الزركشي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص126-131.

1. المتوازي:

يعد المتوازي نمطا صوتيا متميزا للفاصلة القرآنية في سورة آل عمران وشرطه "أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف الروي، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿ * ﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ آية12، 13.

ومن الآيات التي اتفقت فيها الفاصلتان وزناً ورويا قوله عز وجل:

﴿. . . وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ آية7.

﴿. . . وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ آية8.

﴿. . . إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آية35.

﴿. . . وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ آية36.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ آية53.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آية54.

﴿. . . وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ آية65.

﴿. . . فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ آية66.

﴿. . . فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آية185.

﴿. . . وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ آية186.

﴿لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ﴾ آية 196.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية197.

والناظر إلى التشريح المقطعي للآيات يتضح كيف تعادلت كلمات القرائن في الوزن والروي:

1. الألباب: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير.
   الوهاب: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير.
2. العليم: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

الرحيم: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

3. الشاهدين: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

الماكرين: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

4. تعقلون: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

تعلمون: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

5. الغرور: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

الأمور: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

6. البلاد: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

المهاد: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

إن التشريح المقطعي لفاصلة المتوازي بين المطابقة التامة بين الفاصلتين وزنا ورويا كما نلمح أن نوع المقاطع المستخدمة. مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة والسمة البارزة في فاصلة المتوازي ظاهرة الاستلزام، ويسمى لزوم ما لا يلزم ويقال عنه الإعنات ورد في المنظوم والمنثور من الكلام ومعناه أن يلتزم الناظم قبل حرف الروي حرفا مخصوصا أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي أيضا[1].

وقد التزمت فاصلة المتوازي حرف الياء قبل حرف النون في (الشاهدين، الماكرين) كما التزمت حرف الياء قبل الميم في (العليم، الرحيم) كذلك الواو قبل النون في (تعقلون، تعلمون) والواو قبل الراء في (الغرور، الأمور) والألف قبل الدال في (البلاد، المهاد).

---

(1) العلوي، يحيى بن حمزة بن علي(ت749هـ)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ص397.

2. المتوازن:

من خصائص الموسيقى القرآنية أنها تميل إلى المراوحة بين الفواصل قصد التلون الإيقاعي فإذا كانت فاصلة المتوازي تشكل نمطا متفردا في نظام الفواصل فإن فاصلة المتوازن تقاربها في هذا التشكيل الصوتي، والمتوازن كما حدده الزركشي "أن يراعي في مقاطع الكلام فقط"[1] ومن أحسن استعمالاته في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية12.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ آية162.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ آية173.

إنَّما يميز هذا اللون من الفاصلة أنه قليل الانتشار في سورة آل عمران وما يلاحظ على الآيات السابقة المطابقة التامة في الوزن دون الروي وهذا ما يبينه الكشف المقطعي التالي:

المهاد
المصير ← مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.
الوكيل

إن المادة الصوتية المكونة لهذا النوع من الفاصلة تتكون من مقاطع ذات صفة استمرارية، تأتي بشكل سلس لتعبر عن إيقاع الآية وتربطها مع الدلالة والملاحظ في هذه الفواصل أيضا بأنها سبقت بأفعال (مدح وذم) (بئس المهاد) و(بئس المصير) و(نعم الوكيل) ولو كانت الفواصل متباعدة، فقد جاءت لأجل ربط القارئ بالمعنى والدلالة وإيجاد عنصر المفاجأة.

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص76.

3. المطرف:

وهو أحد أقسام الفواصل في القرآن الكريم ويعني "أن تتفق الكلمتان في حرف الروي لا في الوزن كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿ * ﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1].

ومن أجمل استخدامات فاصلة المطرف قوله تعالى:

﴿. . .وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آية28.

﴿. . .وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آية29.

﴿. . . أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ آية124.

﴿. . . يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آية125.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ آية192.

﴿. . .رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ آية193.

ومن خلال هذه النماذج المتنوعة في اتفاق الكلمات القرائن في الروي دون الوزن، يمكن أن نلمح ظاهرة خليقة بالملاحظة والرصد وهي أن اختلاف الوزن في نمط المطرف يعوَّض بتشابه المقاطع وبالتالي فإن تكرار الروي يصحبه هذا التماثل في مقاطع الكلمات ومن هنا فإن التكرار لروي المطرف لا يخلو من الحسن واللطف ما دام يعضد بتشابه مقطعي.

والتحليل المقطعي لهذه الفواصل بين جليا هذا التشابه بين مقاطع الفاصلتين.

1. المصير: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.
   قدير: مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.
2. مسومين: مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.
   منزلين: مقطع طويل – مقطع قصير– مقطع طويل – مقطع قصير.

---

(1) لاشين، عبدالفتاح، الفاصلة القرآنية، ص19.

3. أنصار: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير.

الأبرار: مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع طويل – مقطع قصير.

نجد في هذا النموذج الأول أن الاختلاف بين الفاصلتين وقع في المقطع الأول والثاني حيث نجد فاصلة (المصير) مقطع طويل، مقطع قصير، مقطع طويل، بينما نجد فاصلة (قدير) مقطع قصير، مقطع طويل، مقطع قصير، وهذه الزيادة المقطعية بين الفاصلتين لها ما يبررها دلاليا. إذ نجد أن الآية الأولى تتحدث عن نهي المؤمنين أن يتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين كذلك هو تحذير من المخالفة لأوامر الله عز وجل إذ يعتبر هذا الخطاب بمثابة موعظة. وتهديد بالعقاب على مخالفة ما نهاهم عنه.

أما في الفاصلة الثانية يقول ابن عاشور: "هو انتقال من التحذير المجمل إلى ضرب من ضروب تفصيله، وهو إشعار المحذر باطلاع الله على ما يخفونه من الأمر"[1].

ومن هنا نستطيع أن نُؤوّل طول الفاصلة الأولى بأنها جاءت تتحدث عن تحذير عام، أمّا الفاصلة الثانية جاءت قصيرة لأنها تعبير عن تحذير جزئي مفصل، كذلك جاءت الحروف تحاكي ما جاء في سياق الآيتين.

فحرف الصاد حرف إطباق أي إذا خالفوا أوامر الله تعالى فسوف يطبق قبضته عليهم لأنه لا مهرب منه يوم القيامة. كذلك جاءت الفاصلة الثانية (قدير) مناسبة لدلالة الآية. فحرف القاف حرف مجهور شديد قوي على السمع، لأن من صفات الله القدرة على معرفة الظاهر والباطن، وهذا نوع التحذير التهديد والملاحظ أن فاصلة المطرف في الآيتين قد شكلا إيقاعا جميلا ومترابطا وبدلالات مختلفة.

أما النموذج التالي من فاصلة المطرف وخلال التشريح المقطعي نجد فاصلة (أنصار) تتكون من مقطع طويل، مقطع طويل، مقطع قصير.

الأبرار: مقطع طويل، مقطع طويل، مقطع طويل، مقطع قصير.

فقد جاءت الفاصلة في لفظ (أنصار) متوافقة مع سياق الآية لأنها تتحدث عن الذين كفروا واستحقوا نار جهنم وظلموا أنفسهم فهؤلاء لا يجدون لهم ناصر من الله،

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص222.

فجاءت الأحرف لتعبر عن دلالة اللفظ، فحرف الصاد المهموس وحرف الراء المتكرر يعبران عن خسارة أولئك الذين كفروا فخسارتهم ظاهرة ومستمرة.

أما الفاصلة الثانية لـ (الأبرار) فجاءت في سياق الحديث عن الفئة التي آمنت بربها بدعوته أن يستر عليهم خطاياهم ويكفر عنهم سيئاتهم ويدعونه أيضا بأن يقبضوا مع الأبرار الذين يروا الله بطاعتهم إياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم فجاء حرف الراء ذات الصفة التكريرية ليعبر عن كثرة أعمال هؤلاء الصالحين من أعمال طيبة صالحة فاستحقوا رضا الله عليهم.

إذ نجد أن في فاصلة المطرف من خلال الآيتين إيقاعا جميلا فكان بمثابة الحلقات المترابطة التي تشد دلالة الآيات بعضها ببعض. فقد جمعت سورة آل عمران بين مختلف أنماط الفواصل القرآنية من متوازي، ومتوازن، ومطرف، لتلوين الخطاب وتنويع موسيقاه، حيث قدم لنا في النهاية بحثا موسيقيا عذبا.

7.1 خلاصة

1. جاءت الخصائص الصوتية لحروف سورة آل عمران متباينة صفة ومخرجاً، وقد أدّى هذا التباين إلى ثراء العطاء الإيقاعي للسورة.
2. جاءت الإضافة إلى الأصول لهدف إضافة غرض جديد إلى المعنى الأصلي، إذ أن زيادة حروف جديدة إلى الحروف الأصلية يؤدّي إلى دلالة جديدة وإيقاع جديد.
3. اتخذت سورة آل عمران أداة التكرار الصوتي للحروف والمقاطع والأسماء والأفعال والتراكيب وسيلة فعّالة في بناء الإيقاع للسورة، ولما في التكرار من إيقاع واضح يلفت الانتباه ويؤدّي إلى تناغم الجرس ويقويه ويُرسِّخه في الأذهان ويأتي التكرار لغرض بلاغي يتطلبه سياق الآية.
4. يُعدُّ المقطع الصوتي من أخصب العناصر الصوتية كشفاً للمعاني، حيث تضمنت السورة مقاطع صوتية متنوعة، ساعدت على إثراء المنظومة الإيقاعية للسورة.

5. وفرة المقاطع الصوتية على اختلاف أنماطها جاءت مناسبة لسياق الآيات ومقاماتها.
6. جاءت الفاصلة القرآنية في سورة آل عمران مولِّدة لطاقة إيقاعية.
7. تضمنت السورة أنماطاً متعددة من الفواصل، وذلك لنيل أقصى طاقة صوتية وإيقاعية ممكنة.
8. اعتمدت الفاصلة في السورة على نظام المراوحة بين الكم الموسيقي، والتوزيع النغمي، قصد تنوع دلالات السورة وثراء موضوعاتها.

الفصـــل الثانـــي
المستوى الصَّرفـــي

تندرج مادة هذا الفصل ضمن وصف البناء الصرفي لســـورة آل عمـــران، ومحاولة إبراز الصيغ الصرفية والتي ولّد استخدامها دلالات تمييزية.

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى الصلة الوثيقة القائمة بين علـــم الصـــرف وعلم النحو، مما جعل معالجة القدماء لها تتسم بالتداخل، فقـــد أشـــار أبـــو عثمـــان المازني إلى متانة الصلة بينهما قائلا: "من الواجب على من أراد معرفة النحـــو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا بمعرفة حاله المتنقِّلة إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصا صعبا بدئ قبله بمعرفـــة النحو، ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه، ومعينا علـــى معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال"[1].

نستنتج من كلام المازني أنَّه يشترط التزود بعلم النحو واتخاذه مطية للولـــوج في المسائل الصرفية، إذ يقول: "التصريف إنَّما ينبغي أن يُنظر فيه من قد نقّب فـــي العربية، فإن فيه إشكالا وصعوبة على من ركبه غير ناظر في غيره من النحو"[2].

واضح من نص المازني العلاقة الوطيدة بين علم الصـــرف وعلـــم النحـــو وتداخل اختصاصهما ونظرا لاعتبارات منهجية نحاول الفصل بين النظام الصـــرفي والنظام النحوي معتمدين في ذلك على وصف السمات الأسلوبية الصرفية ودلالاتها العامة بالقياس إلى معاني السورة ونسبتها أو تواترها.

تشتمل الصيغ الصرفية المكونة لسورة آل عمران على وحدات صرفية تظهر في شكل بعض خصائص النظام الصرفي للسورة، وأن منهجنا ينطلق مـــن تحديـــد

---

11) المازني، ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط1، ج1، ص98؛ انظر: حسن، تمام، مناهج البحث في اللغـــة، مكتبـــة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1955، ص194.

(2) نفس المصدر السابق، ج2، ص340.

الصيغ الأكثر شيوعا والتي تمثل بروزا أسلوبيا، وسوف ندرس الأبنية الصرفية في سورة آل عمران، بنية الأسماء وبنية الأفعال.

1.2 بنية الأسماء

تشكل الأسماء في سورة آل عمران مادة صرفية ثرية إذ ترد في سياقات متباينة تحمل صيغا مختلفة كالفكرة والمعرفة وغيرهما مما يؤدي إلى اختلاف المعاني التركيبية وهذا النوع من الأسماء يعد أصلا من أصول البحث الصرفي الحديث "ويتمثل هذا النوع في أبواب وبحوث هي من صميم الصرف بالمعنى الذي نفهمه، ونعني بذلك تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها وإنما لغرض معنوي أو للحصول على قيم صرفية، تفيد في خدمة الجمل والعبارات، ومن أهم أبواب الصرف هنا المشتقات وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، والتعريف والتنكير... فالبحث في هذه المسائل وأمثالها بحث صميم، إذ يخدم الجملة، ويجعلها ذات معانٍ مختلفة بحيث لو تغيرت وحداتها تغيرت معانيها..." [1].

1.1.2 التنكير

تُعدُّ النكرة من الصيغ الصرفية التي تعتمدها سورة آل عمران للتعبير عن الموضوعات العامة وذلك لمناسبتها مقام التعميم دون التخصيص. وقد وردت النكرة في هذه السورة في سياقات مختلفة تحمل دلالات متفردة لعلَّ أبرزها.

1.1.1.2 التعميم

يرتبط معنى التعميم في السورة بموضوع العقيدة والتوحيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ آية 5.

تضمنت هذه الآية نكرة (شيء) فأكسبت قيمة صرفية أفادت معنى الهيمنة المطلقة على الكون ومخلوقاته، وانتفاء الشريك وإثبات الألوهية لله وحده بأنَّه لا

---

(1) بشر، كمال محمد، مفهوم علم الصرف، مجلة مجمع اللغة العربية، ع25، نوفمبر 1969، ص110.

يخفى على شيء. حيث أفادت هذه النكرة معنى الكلية، فالآية اعتمدت على وحدات صرفية دالة لتفيد معنى الإطلاق دون التعيين. إذ المقام يقتضي هذه الصيغة الصرفية فضلا عن بعض القرائن التي أفادت معنى العموم مثل لفظ (السموات، والأرض) إذ "النكرة يراد بها واحد من أفراد الجنس ويؤتى بها عندما لا يراد تعيين هذا المفرد... والنكرة بعدئذ تفيد معناها مطلقا من كل قيد أمَّا ما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة فإنها لم تفدها بطبيعتها. وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه فكأنَّما المقام هو الذي يصف النكرة ويحددها"[1]، فالصيغ الصرفية كما يتضح من كلام أحمد بدوي تكتسب دلالتها الأسلوبية من السياق التعبيري.

إنَّ اختيار النص القرآني للنكرة في الآية السابقة له ما يبرره صوتيا وصرفيا، إذ لو اختار التعبير القرآني مكان النكرة معرفة مثل لفظ (الأشياء) لتغيرت الدلالة الأسلوبية للآية وانتفى جمالها الموسيقي لأن القوالب أو الأبنية الصرفية تحمل نغمة موسيقية فضلا عن وحدتها الصرفية، تتجلّى القيمة الموسيقية للنكرة السابقة بأنها تنتهي بمقطع مقفل ومن هنا فإن "كل تصرف في الأصل لبناء كلمات جديدة تترتب عنه عملية معقدة هي بمثابة بناء جديد ولئن حافظ الأصل الحرفي على كيانه فإن جهازه الحركي يلحق التغير غالبا لتحقيق توازن جديد بين مختلف عناصر الكلمة"[2].

ومن الأمثلة على العموم قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آية67.

إن تنكير كلمتي يهوديا ونصرانيا في الآية السابقة أفاد معنى عموم النفي عن سيِّدنا إبراهيم بأن يكون يهوديا أو نصرانيا.

---

(1) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص128.

(2) المهيري، عبدالقادر، رأي في بنية الكلمة العربية، مجلة الموقف الأدبي، العددان 35، 36، دمشق، 1983، ص66.

2.1.1.2 المبالغة

من معاني النكرة التي كان لها حظ الاستعمال في سورة آل عمران، المبالغة إذ هي من الدلالات التمييزية التي يقصد الخطاب القرآني إبرازها نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آية 4.

تنكير كلمات (عذاب، شديد، عزيز) يدل على معنى المبالغة في الوعد لأن سياق الآية يشير إلى الجزاء الذي أعد للمشركين فكان جزاء هذه الفئة أن لهم عذاباً شديداً، وجملة (والله عزيز ذو انتقام) جملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد[1].

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية 31.

اعتمدت هذه الآية على النكرة لما فيه من دلالة المبالغة، فإن عمدة البروز الأسلوبي لهذه الآية تتابع الأسماء النكرات وتلاحقها لأن المقام مقام مغفرة ورحمة للذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم.

3.1.1.2 التعظيم

يعد التعظيم سمة أسلوبية في تعبير النص القرآني إذ تميل سورة آل عمران إلى النكرة المتضمنة دلالة على التعظيم والتفخيم ذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ آية 37.

ولأن مقام الآية الرد على تحسر امرأة عمران بوضعها أنثى وكانت تتأمل أن تضع ذكرا لخدمة بيت المقدس. فإن التعظيم حريّ بدفع هذا التحسر الذي أصاب أم مريم فجاءت النكرة متضمنة لدلالة التفخيم (نباتاً) وهو مصدر منصوب على المفعول المطلق، فجاء التنكير ليدل على تعظيم شان مريم فصار المصدر مبيّنا لنوع الإنبات.

وقريب من الآية السابقة يظهر التعظيم أيضا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ آية 96.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص35.

اشتملت هذه الآية على اسم النكر "مباركا" فجاءت متضمنة دلالة التعظيم والتفخيم. فلفظ "مباركا" اسم مفعول من بارك الشيء إذ جعل له بركة وهي زيادة في الخبر أي جعلت البركة فيه ولمجاوريه وسكان بلده، ومن بركة ذاته بأن حجارته وضعت بيد إبراهيم وإسماعيل ومحمد، لذلك جاء التنكير ليفيد معنى التعظيم والتفخيم للبيت الحرام.

4.1.1.2 التحقير

من معاني النكرة التي كان لها حظ الاستعمال في هذه السورة، التحقير إذ هي من الدلالات التمييزية التي يقصد الخطاب القرآني إبرازها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ آية 91.

جاءت النكرة (كفار) لتدل على معنى التحقير، لأن سياق الآية يشير إلى الجزاء الذي أعد للذين ماتوا وهم كفار فكان جزاؤهم أن لهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آية 91. وقد جاء هذا الجزاء مؤكدا استخدام الأداة "لن" وهي التي تفيد نفي الحدث في المستقبل بالافتداء بالذهب. وزاد أسلوب التحقير باستخدام لفظ "أحدهم" لتزيد في التوكيد بأن العذاب واقع عليهم لا محالة.

كذلك يظهر معنى التحقير في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آية 162.

فتنكير كلمة (سخط) دلت على معنى التحقير لأن سياق الآية يشير إلى بيان حال من اتبع رضوان الله وفي الجهة المقابلة بيان حالة من باء بسخط الله عليه وبدليل قول ابن عاشور: "الاستفهام إنكار للماثلة المستفادة من كاف التشبيه فهي بمعنى لا يستوون وفي فعل (باء) هي تمثيل لحال صاحب المعاصي الذي خرج يطلب ما ينفعه فرجع بما يضره أو رجع بالخيبة"[1].

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص157.

2.1.2 التعريف

تتخذ سورة آل عمران من المعارف وسيلة أسلوبية لتعيين موصوفاتها وتحديدها، وهي لا تقتصر على هذا التعيين بل تقصد من وراء هذا التحديد دلالات متنوعة أبرزها: إظهار الاسم لتقدم ذكره والإظهار في مقام الإضمار إلى غير ذلك من المعاني التي يحددها سياق الآية وموقفها.

وسبيلنا في رصد الأسماء المعرّفة في سورة آل عمران هو تقسيم القدماء للمعارف باعتبار قيمتها الأسلوبية إلى "خمس: المضمرات، الأعلام، أسماء الإشارة، ثم المعرّف باللام ثم المضاف إلى واحد من هذه إضافة معنوية لا لفظية وهي متفاوتة في التعريف، فأعرفها المضمرات ثم العلم"[1].

ونظرا للقيمة الأسلوبية للمضمرات وكثرة شيوعها في سورة آل عمران فإننا نتناول الضمير بمختلف أشكاله وألوانه.

1.2.1.2 الضمير

تستعمل سورة آل عمران الضمير في سياقات شتى للتعبير عن بعض المقاصد المعنوية، وهي في استخدامها له تحاول الخروج به عن دلالته الأصلية إلى دلالات تمييزية أخرى أهمها:

1.1.2.1.2 إضمار الاسم لتقدم ذكره

إن التعبير القرآني في سورة آل عمران يميل إلى حذف الاسم المعاد إذ تقدم ذكره أو أشير إليه في سياق سابق "وذلك لأنك لا تضمر الاسم إلا بعد تقدم ذكره ومعرفة المخاطب على من يعود ومن يعني أو تفسير يقوم مقام الذكر لذلك استغنى عن الوصف"[2].

---

(1) العلوي، الطراز، ص11.

(2) النحوي، موفق الدين يعيش بن علي (ت643هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص56.

ومن أبرز استعمالات الضمير وحذف معاده قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ آية10.

الآية كما هو واضح تشير إلى مصير من كفروا بالله إذ اتخذوا من أموالهم وأولادهم غاية جلب المنافع ودفع المضار ونظرا لكفرهم وشركهم استنكف القرآن عن ذكرهم لتحقيرهم ولبيان بشاعة ما أتوا به والتهويل من أمر مصيرهم بما سيجدوا به من عذاب أليم "أي أولئك المتصفون بالكفر هم حطب النار وحطبها الذي تسعر به فقد أريد بيان حالهم عند التسعير"[1] حيث حذف المعاد لدلالة المقام عليه فضمير كفروا عائد إلى المشركين ولم يسبق لهم ذكر في الكلام وإنما هم معروفون في مثل هذا المقام.

وقريب من المثال السابق يقول الله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آية 11.

نلاحظ من خلال الآية أن القرآن اكتفى بضمير الغائب في (فأخذهم) لدلالة المقام على ذلك إذ نلاحظ أن الضمير يعود على آل فرعون وعلى من قبلهم "فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله فجاء الضمير عائدا في "أخذهم" على آل فرعون بسبب تكذيبهم لآيات الله"[2] لأجل تحقيرهم وبيان سوء ما عملوا من تكذيبهم لآيات الله.

2.1.2.1.2 ضمير الشأن

تميل سورة آل عمران إلى استخدام ضمير الشأن في المقام الذي يقتضي دلالة التنبيه والتفخيم إذ يحذف مرجع هذا الضمير لتشويق السامع إلى معاد هذا الضمير وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ آية 170.

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص30.

(2) نفس المصدر السابق، ج2، ص30.

فجاء السياق للحديث عن الفئة التي قتلت في سبيل الله بأنهم فرحين بما آتاهم الله من فضله، فقد اكتفى السياق بعدم ذكر للضمير تعظيما لهم وتشـويقا للسـامع إذ يفيد التوكيد من ناحية ويثير النفس ويدفعها إلى معرفة ماذا سيأتي بعد ذلك من ناحية أخرى. يقول أحمد بدوي: "وليس بكثير استخدام هذا الضمير في القرآن وإنما يكون في المواضع التي يراد بها تعظيم أمر وتفخيمه"[1] فلم نجد سوى مثال واحد في هذه السورة.

3.1.2.1.2 الإظهار في مقام الإضمار

تقصد سورة آل عمران في بعض آياتها إلى العناية بالاسـم المظهـر بغيـة تعظيم أمره والعناية به وتسليط الضوء عليه. وقد ارتـبط الإظهـار فـي موضـع الإضمار بدلالات فيها التأكيد، والتهكم والتهديد. كذلك تأتي للتعظيم وذلك يظهر فـي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية 12.

فمقام الآية يشير إلى تهديد الذي كفروا بالله وكذبوا الرسول صلى الله عليـه وسلم لأن الآية السابقة جاءت لتؤدي معنى الإنذار في قوله تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ آية 10. هؤلاء الفئة التي أشركت في هذه الآيـة هم أنفسهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾آية10. فيجيء فيـه ما تقدم والعدول عن ضمير (هم) إلى الاسم الظاهر لاستقلال هذه الإنذار والظـاهر أن المراد بهم المشركين خاصة ولذلك أعيد الاسم الظاهر"[2].

ومن الآيات التي سيقت للإظهار في موضع الإضمار لدلالات مقصودة قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ آية 37.

الملاحظ على هذه الآية أنّها اعتمدت على إبراز سيدنا زكريا وكان بإمكانهـا إضماره ولكن لهذا الإظهار في موضع الإضمار جليل الفائدة وهي دلالـة التعظـيم لشأن مريم برعايتها رعاية حسنة من قبل سيدنا زكريا عليه السـلام ذلـك لصـلة

---

(1) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، ص151.

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص175.

القرابة بين مريم وزوجة زكريا فزوجة زكريا خالة مريم –عليها السلام– هذا من جانب، ومن جانب آخر سمعة زكريا الطيبة فجاء الإظهار في موضع الإضمار لرفع شأن مريم برعايتها خير الرعاية[1].

4.1.2 العدد

تلجأ سورة آل عمران إلى وسائل خاصة بها للتعبير عن مفهوم العدد الصرفي وقد اتخذت المفرد والجمع بمختلف أنواعه وسيلة للقيام ببعض الوظائف الصرفية.

يشير الجرد الإحصائي الذي قمنا به على وجود 435 اسماً مفرداً و86 اسم جمع مذكر سالم و26 اسم مؤنث سالم و93 جمع تكسير.

إن مفهوم العدد الصرفي في سورة آل عمران يرتكز أساسا على كثرة أسماء جمع التكسير إذ بلغ عددها تقريبا (93) اسما وهي نسبة لها دلالة عميقة. بحيث يغلب على هذه الجموع ارتباطها بعالمي الجحود والإيمان ومن الجموع المتعلقة بعالم الإيمان نجد ألفاظاً مثل (الأنهار، الرسل، أزواج، شهداء...) أما ما يرتبط بعالم الجحود والإنكار ونجد (أعقابكم، القناطير،....).

ولعل السر في طغيان جمع التكسير على بقية الجموع الأخرى يرجع إلى تعدد جموعه وتكاثرها في اللغة العربية وتنوع أوزانها التي تدل على القلة والكثرة ومنتهى الجموع وجمع الجمع، وأغلب الظن أن هذا التنوع والتعدد بمنحها اختصاصا دلاليا لا نجده في جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم، ولقد وظفت بعض جموع التكسير في سورة آل عمران توظيفا فنيا منها جمع القلة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آية 44.

فلما كانت قصة مريم عليها السلام قبل عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– أخبر عنها الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن طريق الوحي وأخبر كيف تم اختيار

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص486.

زكريا لكفالتها من بين سادة بني إسرائيل الذين أرادوا كفالتها لأنها ابنة سيدهم فتم الاختيار عن طريق رمي أقلامهم في الماء فصعد قلم زكريا فكفلها.

فقد استخدم التعبير القرآني جمع القلة (أقلامهم) ليدل على عدد هؤلاء الأشخاص الذين تنافسوا على كفالة مريم ذلك لأنهم سادة وزعماء بني إسرائيل وجمع القلة يستخدم للعدد القليل من الثلاثة وحتى العشرة يقول الألوسي: "وفي عدد الأقلام خلاف وعن الباقر أنها كانت ستة"[1] فجاء هذا الجمع ليدل على قلة الأشخاص الذين تنافسوا على كفالة مريم وهي من سادة القوم.

كذلك وظفت سورة آل عمران جموع الكثرة توظيفا فنيا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ آية 140.

فالآية في سياق الحديث عن شهداء غزوة أحد وعن هزيمة المسلمين بسبب مخالفة أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنزول الرماة عن الجبل، فكانت سبب الهزيمة لهم. وكانت الحصيلة من شهداء المسلمين يقول أبي السعود: "وقد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير صاحب راية الرسول، وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي، وعثمان بن شماس، وسعد مولى عتبة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومن الأنصار سبعون رجلا رضي الله عنهم"[2].

اعتمدت الآية هنا استخدام جمع التكسير (شهداء) لأنها أليق بمقام إبراز عدد القتلى من المسلمين فعندما كان العدد كبيرا ناسبه استخدام جمع الكثرة وهذا من توظيف التعبير القرآني الجميل.

وفي مقابل جمع التكسير نجد جمع المذكر السالم بنسبة (86) مرة وقد ارتبط بعالمي الإيمان والجحود ومن عالم الإيمان نجد أن جمع المذكر السالم اقترن بصفات المؤمنين أبرزها "الكافرين، الظالمين، المكذبين، المشركين... الخ".

---

(1) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص54.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص95.

وفي استخدام التعبير القرآني لجمع المذكر السالم بعض الدلالات الأسلوبية منها التهكم والتشنيع بالكفار كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ آية 94.

إن جمع المذكر السالم في قوله "الظالمون" له دلالة عميقة بحيث وصف الكفار بالظلم بصيغة الجمع بالتبكيت والتعريض ما لا يخفى على أحد فـ(الظالمون) هم المشركون فغير عنوانهم الأول إلى عنوان الظلم على أن في هذا القول اعتداء على الله عز وجل، ذلك لأن بني إسرائيل كانت تحرف ما جاء في التوراة وينسبون هذا التحريف لله عز وجل. فقد ارتكزت الآية السابقة على صيغة جمع المذكر السالم لإبراز ظلم وغلظة بني إسرائيل وتجاوزهم حدود الله. وبيان شدة ظلمهم لله بافترائهم عليه كثيرا.

ومثيل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آية 104.

في مقابل عالم الشرك والإنكار يستخدم النظم القرآني جمع المذكر السالم للإشادة بالذين آمنوا بالرسول –صلى الله عليه وسلم– وتتجلى هذه الإشارة والتنويه من صيغة الجمع المذكر السالم (المفلحون) ولعل دلالة الجمع ساعدت على إبراز معنى الجماعة المؤمنة، كما أن صيغة الجمع في الآية أفادت معنى الفوز لأصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. كذلك من دلالات جمع المذكر السالم بأن وصف المؤمنين بالفلاح في صيغة الجمع ليدل على النجاح والفوز فـ(المفلحون) هم المؤمنون، فالآية ارتكزت على صيغة الجمع المذكر السالم لإبراز فوز المؤمنين.

في مقابل جمع المذكر السالم نجد جمع المؤنث السالم وهو أقل الجموع ورودا في سورة آل عمران، وقد اقترن أكثرها بعالم الإيمان والتوحيد ومن كلماته: "السموات، جنات، آيات، صالحات.. الخ" نلاحظ من خلال سورة آل عمران أن جمع المؤنث السالم (آيات) التي وردت خمسة عشر موضعاً قد اقترنت بسياق الذات الإلهية وقد تحقق ذلك في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ آية 108.

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ آية 112.

وجملة الأمر أن سورة آل عمران تضمنت مجموعة من الأسماء من حيث العدد المفرد، والجمع بمختلف أنواعه، وقد اختيرت هذه الأسماء لبعض المقاصد الدلالية والغايات الأسلوبية.

5.1.2 التذكير والتأنيث

تلجأ سورة آل عمران إلى وسيلة التذكير والتأنيث للتعبير عن مفهوم الجنس لأغراض دلالية إذ "أن اختلاف المذكر عن المؤنث هو اختلاف كلمة مميزة من أخرى مميزة، أي أن المذكر لا يحمل إشارة بينما المؤنث يحمل إشارة حسية"[1].

إن التذكير والتأنيث يولدان القيم الخلافية بين صيغ الأسماء كما أن مفهوم الجنس في التعبير القرآني لا يقتصر على التميز بين المذكر والمؤنث لغرض الاختصاص الدلالي لكل منهما إلى وضع المذكر موضع المؤنث أو بالعكس كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آية 185.

فالآية كما هو واضح اعتمدت اسما مذكرا (كل) ولكن نجد (ذائقة الموت) عوملت معاملة المذكر وهي واردة في سياق التأنيث "فخبر بالمؤنث (ذائقة الموت) عن المبتدأ المذكر (كل) وهو لفظ مبهم فربما اكتسب التأنيث من المضاف إليه"[2] وكان الأصل (ذائق الموت) على تذكير كل، إذن عدول النظم القرآني من المذكر إلى المؤنث هنا جاء لغرض الإقرار والتأكيد على حتمية انتهاء حياة كل إنسان ذكر أم أنثى على هذه الحياة.

ومن أمثلة عدم المطابقة في سورة آل عمران يقول الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ آية 163.

---

(1) طحّان، ريمون، الألسنية العربية، ج1، ص87.

(2) الرفايعة، حسين عباس، ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2003، ص126.

فالآية قد اعتمدت اسما مؤنثا (درجات) للإخبار عن غير العاقل (هم) المذكر وأوّل الزمخشري هذه المسألة، تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه في مكانه فأصلها (هم ذو درجات) فكانت الغاية منها الإقرار بمنازل المؤمنين عند الله بحسب كل وعمله[1].

6.1.2 العَلَـــم

تعدل سورة آل عمران عن العَلَم في بعض الآيات إلى بديله لتحقيق أغراض أسلوبية ومقاصد دلالية يقتضيها السياق، وقد ورد من أصناف العَلَم ذكـــر الصـــفة كقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ آية 38.

فقد آثر القرآن الكريم دلالة زائدة على معنى العَلَمية وهي ذكـــر الـــرب دون اسم الله تعظيما وتفخيما لله تعالى حيث ذكر وصف الرب دون الاسم العَلَم للإشـــارة إلى استحقاقه وحده للدعاء لأن العبد لا يحق له الدعاء إلا لله عز وجـــل لأنـــه هـــو المجيب للسائل عما سأل.

ونظيرا للمثال السابق قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آية 101.

نجد أن القرآن الكريم عدل عن ذكر العَلَم (محمد) إلى ذكر صفة (الرسول) –صلى الله عليه وسلم– ذلك لغرض التفخيم له وإعلاء قدره وبيان مهمته بأنه رسول الله عز وجل للناس لإخراجهم من الضلال إلى النور. فجاءت الصفة في هذا المقام أجمـــل تعبيرا من ذكر العَلَم ذلك لحاجة السياق إلى تلك الصفة لتكون حجة على المشركين.

ومن أحسن المقامات التي فضّل فيها التعبير القرآني العدول عن اسم العَلَـــم إلـــى ذكر صفتين من صفات الله عز وجل ذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية2.

---

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت528هـــ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيـــروت، لبنـــان، ج3، ص75.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "جيء بالاسم العَلَم لتربية المهابة عند سماعه، ثم ردف بجملة معترضه أو حالية ردا على المشركين وعلى النصارى خاصة وأتبع بالوصفين (الحي، القيوم) لنفي اللبس عن مسمى هذا الاسم والإيماء بوجه انفراده لأن غيره ليس حي ولا قيوم"[1] فكان بإمكان القرآن الكريم أن يكتفي بذكر اسم العَلَم في الآية وهو الله تعالى ولكن زاد على معنى العَلَمية بأسلوب الوصف وذلك لما يفهم من الصفتين (الحي، القيوم) ولما في هاتين الصفتين من مضمون حقيقة وحدانية الله عز وجل، فقد عدل النظم القرآني عن تكرار اسم الجلالة إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالإيمان به وحده لأنه حي لا يموت وقائم بأمور الكون بأكملها.

7.1.2 اسم الإشارة

يعد اسم الإشارة سمة أسلوبية في التعبير القرآني في سورة آل عمران إذ ورد بمختلف أشكاله متضمنا دلالات تمييزية متنوعة ولعل في كثرة شيوع اسم الإشارة في السورة ما يبين القيمة الجمالية والأسلوبية له. فقد كثرت إشارة المشركين إلى الرسول وهو أمر طبيعي، إذ إنكار الكفار لرسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام تقتضي الإشارة. كما أن الله تعالى أشار إلى الجزاء الذي أعده للذين آمنوا بالرسول أحسن إشارة فضلا عن إشارته إلى الكفار والمشركين بمختلف الإشارات الحسية والمعنوية.

ومن الإشارات التي تضمنت معنى التصغير والتحقير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آية 117.

احتوت هذه الآية على اسم الإشارة للقريب في سياق الحديث عن إنفاق المشركين في الحياة الدنيا. ولعل في الإشارة لهؤلاء المشار إليهم بإنفاقهم في الحياة

---

(1) ابن عاشور،تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص175.

الدنيا وهو إنفاق لا فائدة منه في الآخرة بسبب كفرهم بالله عز وجل فجاء اسم الإشارة لغرض الاحتقار للذين كذبوا وأشركوا بالله.

وقد تستعمل سورة آل عمران اسم الإشارة للقريب وتقصد به التعظيم ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ آية 51.

جاء سياق الآية ليتحدث عن أمر الله للناس بعبادته لأنه هو الحق، فجاء اسم الإشارة في الآية لغرض تفخيم وتعظيم طريق الحق الذي فيه نجاة الناس من عقاب الله.

وقد يرد اسم الإشارة للبعيد قصد التنبيه نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آية 77.

فقد أشير إلى مقام الكفار ومنزلتهم باسم الإشارة، الذي أفاد البعد يقول الطبري: "أي لا حظَّ لهم في خيرات الآخرة ولا نصيب لهم في الجنة لأنهم تركوا عهد الله ووصيته التي أوصاهم بها في الكتب التي أنزلها الله إلى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والإقرار بما جاء من عند الله وبإيمانهم الكاذبة الذين يستحقون بما حرم الله عليهم من أموال الناس"[1].

ومن أمثلة استخدام اسم الإشارة لغرض التنبيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية 89.

وفي تضمن هذه الآية لاسم الإشارة ما يدل على بعد الخطايا عن التائبين الذين أصلحوا لينالوا مغفرة ورحمة الله تعالى يقول محمد عاشور: "جاء اسم الإشارة للتنبيه على أنهم أحرياء بما يرد على بعد اسم الإشارة من الحكم عليهم"[2] ولعلّ في بعد المشار إليهم ما يوحي بالمغفرة والرحمة من قبل الله تعالى لهم.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج3، ص65.

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص175.

ولقد حوت سورة آل عمران نماذج متعددة ومتنوعة من أسماء الإشارة ناسبت المقام والدلالة التي سيقت لها ولعلّ في هذا التنوع ما يدل على ثراء موضوعات السورة وتبيان أطرافها.

8.1.2 الاسم الموصول

ما يسترعي الانتباه في سورة آل عمران أنها استخدمت الاسم الموصول استخداما كثيراً إذ لا يكاد يخلو موضوع من موضوعاتها منه، ونعتقد أن هذا الاستخدام المتميز سمة أسلوبية واضحة الملامح.

وقد أشار أحد اللغويين المحدثين إلى المكانة الأسلوبية للاسم الموصول بقوله: "والاسم الموصول عجيب الشأن بين أنواع المعرفة فهو معرفة غير محددة"[1] ولعظم مقام الاسم الموصول تعددت مقاصده الأسلوبية حيث يرد في سياقات مختلفة بدلالات متباينة "والمعول عليه في ذلك كله هو الغرض عن الموصول فإن كان الغرض منه أمرا معهودا للمخاطب، جاءت صلته معهودة منفصلة، وإن أريد به التعظيم أو التهويل جاءت مهمة بمنزلة المفصلة"[2].

وفي استخدام سورة آل عمران الاسم الموصول ما يومئ إلى أن التعبير القرآني يقصد إلى بعض الظلال والإيماءات الدلالية. وقد تعرض أحمد بدوي لمختلف الأغراض الأسلوبية للاسم الموصول في القرآن بقوله: "ويأتي القرآن بالاسم الموصول عندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم، والمجيء باسم الموصول فضلا عما ذكرناه يثير في النفس الشوق إلى معرفة الخبر، وقد تكون الصلة نفسها ممهدة لهذا الخبر ودالة عليه، ومن خصائص الاسم الموصول استطاعته أن يخفي تحته اسم المذنب وفي ذلك الرجاء في هدايته، ما ليس في إفشاء اسمه وفضيحته... وقد يعدل القرآن عن العَلَم إلى الاسم الموصول، إذا كان فيه زيادة تقرير لأمر يريده

---

(1) حسن، عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط5، ج1، ص376.

(2) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، 136-137.

القرآن ويستخدم الاسم الموصول كذلك لإظهار أن الأمر لا يستطاع تحديده بوصف ما بولغ فيه..." [1].

ومن المواطن التي سيق فيها الاسم الموصول مساق الإظهار والاهتمام، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ آية 6.

فالغرض الأسلوبي من الآية هنا هو إبراز المصور في الأرحام والاهتمام به ولذلك لم يذكر لفظ الجلالة واكتفت الآية بالصلة، إذ في سياقها ما يدل على عظمة المصور من خلال القرائن التالية: "يصوركم، الأرحام، كيف يشاء"، فلما كان الله مصدر هذه المعجزات استغنى السياق عن خالق هذه المعجزات إذ في ذكرها ما يدل على صانعها وهو الله تعالى.

وقد تعبر سورة آل عمران بالاسم الموصول في المواطن التي يراد بها التشويق لمعرفة الخبر نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية 12.

فالاسم الموصول "الذين" الوارد في السياق الآية يحمل شحنة التشويق والإثارة لأن القارئ عندما يتوقف عند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾. يزداد شوقا وإثارة لمعرفة خبر هؤلاء الكفرة فالغرض الأسلوبي من إطالة جملة الاسم الموصول هو الإخبار عن مصير هؤلاء الذين كفروا.

9.1.2 الاسم المعرف بـ"أل"

تعمد سورة آل عمران إلى استخدام الاسم المعرف "بأل" استخداما فنيا رائعا وقد جاء على أحسن صورة وأعم وجه ومن خصائصها أنها: "تكون للعهد حينا وللجنس حينا آخر ومن أجمل مواقعها فيه أن تُستخدم لاستغراق خصائص الجنس"[2].

---

(1) بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، 137.

(2) نفس المصدر السابق.

ومن أظهر مواقع الاستغراق في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ آية 108.

فـ"أل" في لفظ (العالمين) تستغرق إفراد الجنس ولعلَّ في الاستغراق ما يومئ بشمولية الرسالة المحمدية وعالميتها، فلفظ العالمين كما يقول أبو حيان الأندلسي في معناه: "للعالمين عالم الإنس والجن"[1].

وقد تستخدم (أل) للعهد الذهني نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ آية 40.

فالصورة التي كانت تدور في مخيلة سيدنا زكريا بأنه لا يستطيع أن يولد له ذرية وهو في هذا السن من الكبر كذلك كانت زوجته عاقر، كذلك أن (أل) تفيد التعجب من قبل سيدنا زكريا عندما قال "أني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر".

ومن الاستعمالات المتميزة لـ"أل" أنها تأتي في مقام المبالغة في الوصف كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ آية 145.

فالاسم المعرف بـ(أل) في كلمة "الشاكرين" دل على صفة الشكر وعظمها لأن هذه الفئة دائما في شكر لله عز وجل ولم يشغلهم شيء عنه.

ومن هنا يمكن أن نستنتج بأن في استغلال التعبير القرآني للاسم المعرف بـ(أل) في سورة آل عمران ولا سيما المفيد لدلالة الاستغراق وهو كثير مقارنة بالأنواع الأخرى، ما يومئ إلى اعتماد السورة لدلالة الشمولية والإحاطة وهي من أجمل مقاصد القرآن.

10.1.2 الاسم المضاف إلى معرفة

لسورة آل عمران لطائف أسلوبية متعددة في اعتمادها الاسم المضاف إلى معرفة حيث ارتبطت المقاصد الدلالية للإضافة في أغلبها بسياق التشريف والتفخيم

---

(1) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق، عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ج3، ص480.

وتأتي لتعظيم المضاف نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آية37.

ومقام التعظيم لله عز وجل لا يخفى في هذه الآية إذ يكفي شرفا لها أن يضاف إلى الله عز وجل فالإضافة المعنوية خرجت بالاسم المضاف من معنى التعريف إلى دلالة التعظيم والقدرة.

ومن ألطف مقامات الإضافة التي تحمل دلالة التفخيم والتعظيم لله تعالى وتحمل في طياتها السخرية والتهكم من الكفار الذين يرون آيات الله وعز وجل ويصرون على الكفر ذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ آية 4.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ آية 98.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ آية 101.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ آية 108.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ آية 113.

والجامع بين هذه الألفاظ تعظيم المضاف وهو الله تعالى، فتكرار هذه الإضافات جاءت لتأكيد الوحدانية لله عز وجل وإقامة الحجة على الكفار المعاندين ذو الحجج الضعيفة. وقد تخرج الإضافة من دلالة التعظيم إلى دلالة التسلية وذلك في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ آية 87.

2.2 بنية الأفعال

تندرج دراستنا لأفعال سورة آل عمران ضمن دائرتين: الأولى وتتضمن الصيغ الصرفية البسيطة المفردة وسندرسها من حيث الزمن والصيغة على اختلاف أشكالها وتباين دلالتها والثانية وتتضمن الصيغ الصرفية المركبة التي تجمع بين حرف وفعل.

1.2.2 الصيغ الصرفية البسيطة

تستخدم سورة آل عمران الأفعال بمختلف أزمنتها وصيغها فقد بلغ عدد أفعالها تقريبا 362 فعلا، منها 149 فعلا ماضيا و155 فعلا مضارعا و58 فعل أمر، ولعل هذه النسب تؤكد تقارب الفعل الماضي والفعل المضارع. فالفعل الماضي قد يدل على أن السورة تميل إلى الإخبار والتقرير والثبوت، ولهذا كثرت الأفعال الماضية المفيدة لدلالة تحقق الفعل وثبوته، ثم نجد الفعل المضارع يقارب الفعل الماضي بنسبته فهو يدل في الأغلب الأعم على التجدد والاستمرار، فرسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- رسالة جديدة ومستمرة لأنها جاءت بعد النبي عيسى عليه السلام، لذا جاء الفعلان الماضي والمضارع متقاربين، ربما لإثبات رسالة عيسى عليه السلام والإقرار الجديد برسالة محمد -صلى الله علي وسلم- لإقامة الحجة على النصارى، فالمصدر واحد عند كلا النبيين فالمشرع الله وباعث الرسل واحد فمن يؤمن بعيسى وجب عليه الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

وقد استخدمت سورة آل عمران الفعل المجرد استخداما واسعا ولعل أهم صيغة في هذا الاستخدام:

1.1.2.2 صيغة (فَعَل)

ورد بناء فَعَل في سورة آل عمران تقريبا (327) مرة دل فيها على القيام بالفعل والعمل إطلاقا وأغلب أفعاله متعدية وهو أكثر الأفعال عددا لأنه الفعل الحقيقي الذي يدل على العمل والحركة مثل (كَفَر، وَهَب، دَعَا، ظَلَم، رَأى، شَاء، جَرَى، حَكَم، كَسَب، نَظَر...الخ).

إنَّنا نجد أن صيغة "فَعَل" كثيرة الورود في سورة آل عمران وقد ارتبط بناؤها الصرفي بالأفعال الدالة على الأعمال المرتبة المشاهدة مثل "قال، ضرب، رأى..." وأغلبها متعدية، كما اقترنت هذه الأفعال بعالمي الإيمان والجحود وقد أشار القدماء إلى أن صيغة (فَعَل) ترتبط أساسا بالأفعال المشاهدة لقول ابن يعيش في معرض حديثة عن معاني بناء "(فَعَلَ) فعل مفتوح العين يقع على معانٍ كثيرة لا تكاد تنحصر توسعا فيه لخفة البناء واللفظ، واللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه فهو

يقع على ما كان عملا مرئيا والمراد بالمرئي ما كان متعديا فيه علاج من الذي يوقعه بالذي يوقع فيه فيشاهد ويرى وذلك نحو ضرب، وقتل، ونحوهما مما كان علاجا مرئيا"[1].

2.1.2.2 صيغة (فَعِل)

ورد هذا الفعل في سورة آل عمران 114 مرة معبرا عن حالة وقتية في الغالب؛ فهو يكثر في الإعراض من العلل والأحزان وأضدادها وهو بناء متوسط من حيث الكم "فهو متوسط من حيث الأهمية ومن حيث الكم، ولئن كان هذا الوزن خاصا بالحالات بالنسبة لفِعْلُ الخاص بالصفات فإن تفوقه الكبير على فَعُل يرجع إلى أن الحالات متغيرة، فهي أكثر حركية من الصفات الثابتة لذلك كانت بعض صيغ (فَعِل) لازمة كالصفات مثل فَرِحَ، يَئِسَ، حَزِنَ، شَهِدَ، والبعض الآخر متعدية مثل عَلِمَ، حَسِبَ، كَفِلَ، وهذا النوع الثاني أقرب إلى الفعلية لأنه يتضمن معنى الفعل والحركة والمجهود الجسمي أو العقلي فالفاعل بالنسبة لهذه الطائفة من الأفعال يقوم بالفعل ويتلقى الفعل فتعود عليه نتائجه أو يقوم به لنفسه ولفائدته، وهو ما يجعل فَعِلَ وسطا بين فَعُلَ وفَعَل فكان أيضا وسطا من حيث الأهمية الكمية..." [2].

فالملاحظ على صيغة فَعِلَ في سورة آل عمران أن موقف الفاعل فيها سلبي يتلقى الفعل بدون إرادة.

3.1.2.2 صيغة (فعّل)

الغالب على هذه الصيغة أنها أفادت المبالغة والتكثير وقد ورد فعل "نَزّل، صوّر، كفّل، علّم، فكّر، حرّم، سبّح، محّص" فقد وردت في هذه السورة في (44) موضع ومن أمثلة هذه الصيغة قوله تعالى:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ آية 3.

---

(1) النحوي، شرح المفصل، ج7، ص156، 157.

(2) البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم: صالح القرمادي، نشر وتوزيع: مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس، 1992، ط3، ص87.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آية 28.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ آية 37.

﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ آية 41.

4.1.2.2 صيغة (فَعُل)

نجد صيغة فَعُل من أقل الصيغ الصرفية ورودا في سورة آل عمران فقد وردت ثلاث مرات مثل "حَرُم، حَسُن، صَلُح" وهي صيغة تفيد الاتصاف بصفة ثابتة في الغالب ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ آية 172.

فبناء فَعُل يأتي ليدل على الاتصاف بصفة ثابتة وهي العمل الحسن لذلك كان جزاؤهم بأن لهم أجر عظيم، لذلك فهو قليل العدد نسبيا.

5.1.2.2 صيغة (استفعل)

ورد هذا البناء في سورة آل عمران دالا على تكلف الفعل ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آية 135.

لما أراد الله تصوير استتابة بعض المؤمنين بسبب تجاوزهم للحدود الإلهية اختار النظم القرآني صيغة "استفعل" لأنها تحمل دلالة الطلب والمبالغة فيه إذ أنهم طلبوا المغفرة من الله تعالى، ولعلّ هذه الصيغة أليق بمقام طلب الاستغفار.

ومما يدعم دلالة المبالغة في الطلب في هذا السياق، أن الآية جاءت جامعة لمكونات لغوية غير الصيغة الصرفية، فجاء التأكيد على التوبة عن طريق أداة الجزم في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾. كذلك صوتيا فحرف السين في صيغة "استغفروا" حرف همس فالدعاء من العبد لربه يكون برقة وخشوع وحرف الراء ذات الصفة التكريرية لتدل على المبالغة في طلب الاستغفار.

6.1.2.2 بناء المجهول

من الصيغ الصرفية التي كان لها عميق الأثر في سورة آل عمران صيغ الأفعال التي لم تسم فواعلها، أو ما يسمى عند نحاة اللغة العربية بالفعل المبني للمجهول.

إن دراسة الفعل المبني للمجهول عادة تعالج ضمن المباحث النحوية القديمة إلا أنّها أقرب إلى طبيعة دراسة الصرفية الحقة، وقد قرر هذه الأحقية كمال محمد بشر لقوله: "ومن صميم البحوث الصرفية كذلك دراسة المغايرة في الصيغ كما في المغايرة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول. تقول: فهم الطالب الدرس (فعل، فاعل، مفعول به) ولكن: فُهِم الدرس (فعل، نائب فاعل) فهذه الدراسة ذات قيم ظهرت آثارها في التركيب بوضوح ومن ثم كانت دراسة صرفية حقيقية"[1].

المتأمل في سورة آل عمران يجد أنها تعمد إلى حذف الفاعل لأغراض أسلوبية مقصودة فلقد تعددت المقاصد الدلالية للمبني للمجهول حيث تلجأ سورة آل عمران عدم التصريح بالفاعل والغرض متعلق به ذلك في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آية 14.

يحذف الفاعل وإن تعلق الغرض به قصد تجاهله إذ تزيين حب الشهوات والنساء والبنين والقناطير المقنطرة من ذهب وفضة وخيل مسومة وأنعام وحرث فهذا التزيين يحتاج إلى مُزيِّن، والمُزيِّن هنا الله عز وجل لأجل الابتلاء ومعرفة المؤمن من الكافر، لذلك عدلت الآية عن الفعل المبني للمعلوم إلى الفعل المبني للمجهول، قصد إبراز تجاهل الكافرين لمصدر هذا التزيين وهو الله عز وجل ومن جانب آخر هو ذم لهؤلاء الذين شغلتهم الحياة الدنيا بشهواتها ونسوا خالق هذه النعم وما يترتب على هذه النعم من شكر وطاعة لله فمن أدرك بأن هذه الحياة فانية وأطاع الله فإن الله عنده "حسن المئاب".

---

(1) بشر، كمال، مفهوم علم الصرف، ص112.

ومن الآيات التي تمثل بروزا أسلوبيا لصيغ مغايرة لبناء المجهول قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آية 72.

إن هذه الآية تعتمد على الفعل ذاته في المغايرة بين الصيغ الصرفية البسيطة ويعني الخروج بالفعل من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، مع ملاحظة حذف الفاعل نفسه، فعدولها من المبني للمعلوم وهو الله تعالى إلى المبني للمجهول ذلك جاء لغرض الإنكار والتعنت والتجاهل، فمقام التنزيل يستدعي بل يستوجب ذكر المنزل وهو معلوم من السياق والغرض متعلق به، ولكن يضمر على سبيل التجاهل والعناد من قبل المشركين.

وقد يميل الأسلوب القرآني إلى حذف الفاعل في مواطن العذاب في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ آية 12.

فالفاعل محذوف في الآية هنا، وتقديره (سيغلبهم الله ويحشرهم الله) ولكن لما كانت الآية دالة بمكوناتها اللغوية على مستقرهم في جهنم وكان لهم بئس المستقر فإنه استغنى عن الفاعل وهو الله تعالى، إذ أن في صورة غلبة الكفار وحشرهم يوم القيامة ما يكفي دالة على معنى التحقير والذل والخساسة، ولأجل هذا أضمر الفاعل لعدم تعلق الغرض به لأن في اكتفاء الآية بالفعل المبني للمجهول ما يدل على نفاق اليهود ونقضهم للعهود واستصغارهم.

2.2.2 الصيغ الصرفية المركبة

إن البناء الصرفي لسورة آل عمران لا يقتصر على الصيغ الصرفية ذات الجزء الواحد أو ما يسمى بالصيغ الصرفية البسيطة وإنما تلجأ إلى استحداث أبنية صرفية ذات جزأين أي الصيغ الصرفية المركبة.

ويقصد بالصيغ المركبة في المفهوم الصرفي هو تركيب صيغة صرفية واحدة من طرفين قصد تأدية دلالة واحدة للجزأين.

ومن الصيغ المركبة المعروفة في اللغة:

1. كان + فعل
2. قد + فعل

غير أن الناظر في كتب الصرف العربية قديما قد لا يجد فيها العناية اللازمة بهذه الأبنية الصرفية لأنها لم تدرج ضمن مباحث الصرف الحقيقية التي لا مراء فيها بأنها أقرب إلى الدراسة ذات المنزع الصرفي الحميم.

لقد كانت عناية القدماء بهذه الصيغ لا تتجاوز إطار النحو بمفهومه القديم إذ كانوا يعاملونها معاملة جزئية، قوامها الفصل بين طرفي البنية الصرفية المركبة حيث يتناولون كل جزء منفردا ويعطونه معنى خاصا به، وبالتالي يقدرون الصيغة الواحدة معنيين مختلفين، مثلا يعتبرون البناء الصرفي المتكون من قد + كان + فعل تركيبين صرفيين منفصلين فيرون في "قد" أنها تفيد التحقيق وكان فعل ماض ناقص إلى غير ذلك من التخريجات النحوية المعروفة والأولى أن ينظر إلى هذه الصيغة نظرة شاملة لأنها مجتمعة تؤدي غرضا أسلوبيا واحدا، ومن هنا جاءت تسمية هذه الصيغ الصرفية المركبة، رغم أنها تبدو متكونة من جزأين إلا أنها تؤدي دلالة واحدة، ومن صور أنماط الصيغ المركبة في سورة آل عمران:

1.2.2.2 الصورة الأولى (قد + فعل)

لقد وردت هذه الصيغة الصرفية المركبة في سورة آل عمران في ثلاثة وعشرين موضعاً متضمنة فعلا ماضيا مثبتا، ويطلق على هذا الفعل تسمية الماضي القريب أو المؤكد "ويدل على حدوث الفعل الماضي إما في وقت قريب وإما على سبيل التأكيد"[1].

---

(1) عبدالقادر، حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1998، ع11، ص66.

ويظهر ذلك في قوله تعالى:

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آية49.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آية118.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ آية 137.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ آية 152.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آية 152.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ آية 155.

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ آية 184.

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ آية 192.

مما يسترعي الانتباه في هذه الآيات أنها تضمنت معنى التأكيد في صيغتها المركبة من (قد + فعل) وقصد التعبير القرآني إلى هذا المعنى الإضافي ليخرج بالفعل الماضي من مجرد وقوع الحدث في الماضي إلى معنى زائد يقتضيه السياق.

والغالب على هذه الآيات أنها وردت في سياق الحديث عن الذين آمنوا بالله ورسوله، والتزمت نمطا صرفيا واحدا في ست آيات إذ جاءت على الشكل التالي: لام القسم + قد + فعل ماض، والجمل كلها مثبتة، والتزمت من ناحية أخرى قالبا صرفيا واحدا في ست آيات إذ جاءت على النسق التالي الفاء + قد + فعل ماض، والجمل كلها مثبتة.

الملاحظ على آيات البناء الصرفي المكون من (الفاء + قد + فعل) أنها سيقت مساق التأكيد وقد زاد معنى التأكيد الفاء لأن سياق الآية يستدعي هذه الإضافة في التأكيد نحو قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ آية 140.

فلما كان المقام مقام تعزية للمسلمين على ما أصابهم في أحد فإن الصيغة تؤكد إصابة الأعداء بمثل ما أصيبوا به من قتل لغرض التعزية والحث على القتال.

والمتأمل في هذه الآية يلمح أنها جاءت متضمنة لتكثيف دلالي قوامه الفاء وقد المصاحبة للفعل الماضي وبالتالي كثف التعبير القرآني من دلالة التأكيد قصد إثبات إصابة الأعداء بمثل ما أصيبوا به "إذ نحاة العربية متفقون على أن "قد" تفيد التحقيق مع الماضي، والتحقيق هو التأكيد. ومما يحسن ذكره في هذا المقام أن استعمال "قد" في هذا المعنى من مميزات اللغة العربية وإن هذه الأداة منقولة في رأي كثير من علماء اللغة عن الفعل "قد" بمعنى قطع، ثم أفادت القطع أو التأكيد"[1].

ومما هو خليق بالملاحظة أن الآيات الست المتضمنة لنسق (لام القسم + قد + فعل)، أنها سبقت بلام التأكيد قصد الزيادة في التأكيد حيث "تمتاز هذه اللغة الشريفة بأنه من الممكن زيادة هذا التأكيد إذا اقتضى الحال، وذلك بإضافة لام التأكيد قبل "قد" "[2].

وهذا متحقق في ستة مواضع نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ آية 155.

فمطلب المسلمين الذين فروا في معركة أحد وخالفوا أوامر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يعفوا الله عنهم، لهذا السبب جاءت الآية دالة بمكوناتها اللغوية ومنها الصيغة الصرفية المركبة، معبرة عن قبول المغفرة لهم من الله تعالى. واللام واقعة في جواب القسم "أي والله لقد عفا الله عنهم بما كسبوا" فقد جاء الفعل المركب لإضافة التأكيد بعفو الله عن الذين انهزموا في معركة بسبب مخالفتهم أوامر الرسول عليه السلام.

2.2.2.2 الصورة الثانية (كان + يفعل)

تسمى الصيغة الصرفية المركبة من فعل الكينونة + يفعل بـ"الماضي الاستمراري أو التعودي أو النقلي، ويدل على حدوث الفعل في الزمن الماضي على

---

(1) عبدالقادر، حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، ص69.

(2) نفس المصدر السابق، ص69.

سبيل الاستمرار أو التعود لمدة معينة"[1] وقد تحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ آية 112.

نجد في هذه الآية معنى الاستمرار في الصيغة المركبة من (كان + يفعل) ويظهر ذلك في قوله تعالى "كانوا يكفرون بآيات الله" و"كانوا يعتدون". ومن حسن بلاغة القرآن الكريم جودة نظمه بأنه اعتمد في هذه الآية على الصيغة ذاتها مرتين، ولعل هذا التتابع في الصيغة إشارة لطيفة وإيماءة بديعة، إذ يمكن للسياق أن يكتفي بصيغة واحدة، ولكن لما كان كفر اليهود بآيات الله جاءت هذه الصيغة لتعبر عن سياق الحديث عنهم يقول أبو السعود: "ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله أي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد عليه السلام وتحريفهم لها بسائر الآيات القرآنية.... وكانوا يعتدون أي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار"[2].

فإن التعبير القرآني أضاف صيغة أخرى يبين مدى شدة كفر اليهود وتعنتهم وتحريفهم للآيات التي تذكر سيدنا محمد عليه السلام، مع وجود الأدلة والبراهين والآيات التي تدل على نبوته وصحة رسالته.

3.2 خلاصة

إن البناء الصرفي لسورة آل عمران اتسم بالحركية والقابلية لاستيعاب أكبر قدر ممكن من القوالب الصرفية التي يؤدي تغير وحداتها إلى تغير معانيها وخليق بالإشارة أن نقف عند مجموعة من الملاحظات المحورية التي نراها ضرورية لجمع الأجزاء المتفرقة في دراسة البنية الصرفية للسورة ولعل أهمها:

---

(1) عبدالقادر، حامد، معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم، ص71.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص75.

1. أن البناء الصرفي لسورة آل عمران جاء ثريا بصيغ صرفية متنوعة، وأبنية متنوعة، ومن هنا نرى بأن للكلمة في سورة آل عمران لا تحافظ على قالب صرفي واحد وإنما تسعى لتنوع قوالبها لغايات تمييزية تناسب السياق.
2. استخدمت سورة آل عمران التنكير في السياقات التي تعبر عن الموضوعات العامة وقد خرجت النكرة من دلالة التعميم إلى دلالات المبالغة والتعظيم.
3. استعملت السورة التعريف متخذة الضمير وسيلة للتعبير وقد تضمن معاني متعددة أهمها، إضمار الاسم لتقدم ذكره، وضمير الشأن، والإظهار في مقام الإضمار.
4. يستعمل التعبير القرآني في سورة آل عمران العدد بمختلف أنواعه وقد اتخذت السورة المفرد وجمع المذكر السالم وجمع المؤنث قصد إحداث فروق معنوية متفاوتة.
5. يميل التعبير القرآني في سورة آل عمران إلى العَلَم لتحقيق أغراض أسلوبية ومنها، التحقير والتعظيم كذلك الاسم الإشارة المتضمنة لدلالات التحقير والتهكم ودلالة التنويه كذلك اسم الموصول جاء لأغراض التعظيم والتهويل أو إذا كان الغرض أمرا معهودا للمخاطب وقد استخدم الاسم المعرف بـ(أل) وقد استخدم للعهد حينا والجنس حينا آخر وأخيرا نجد الاسم المضاف إلى معرفة الوارد في سياقات التعظيم والتفخيم.
6. تميل سورة آل عمران إلى استعمال الصيغ الصرفية البسيطة بمختلف أشكالها لأغراض صرفية ونجد منها صيغة (فَعَل) وهي أكثر الصيغ شيوعا في السورة ثم صيغة (فَعِل) وهي متوسطة في الكم وأخيرا صيغة (فَعُل) وهي أقل الصيغ شيوعا. كما نجد بعض الصيغ الصرفية المتفرقة مثل صيغة (فعّل) التي تفيد المبالغة وصيغة (استفعل) الدالة على الطلب.
7. تميل سورة آل عمران إلى صيغ المغايرة أي العدول عن المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل فيحذف الفاعل ويثبت أيضاً والغرض المتعلق به.

8. في مقابل الصيغ الصرفية المفردة نجد الصيغ الصرفية المركبة ولعل أهم صورها: قد + فعل الواردة ثلاثاً وعشرين مرة في سورة آل عمران وقد اتخذت الفعل الماضي القريب أو المؤكد لصيغة فَعَل والصورة الثانية (كان + يفعل) الواردة أربع مرات متخذة الزمن الماضي الاستمراري لصيغة (يفعل).
9. إن استناد البناء الصرفي لسورة آل عمران إلى المقابلة بين الأزواج الثنائية كتقابل التنكير مع التعريف والتذكير مع التأنيث والصيغ البسيطة مع الصيغ المركبة والمغايرة بين صفتي المبني للمعلوم والمبني للمجهول. كل هذا التنوع الحركي ولّد قيما خلافية هي مصدر اختلاف الدلالات الصرفية.
10. إن النظام الصرفي لسورة آل عمران نظام حركي متنوع الأنظمة الصرفية مما جعل الجهاز الحركي للكلمة في السورة ثريا يتصف بحرية كبيرة، غير أن الكلمة تبقى قاصرة عن تأدية حركتها الكاملة لم تدرج ضمن بناء أوسع وهو الجملة.

الفصـــل الثالـــث
المستـــوى النَّحـــويّ

ترتكز البنية النحوية لسورة آل عمران على وصف نظام الجملة وبيان أسرار تأليف العبارة القرآنية قصد إيجاد الخصائص النوعية لبنية الأسلوب القرآني.

ولن يتأتى لنا استكشاف نظام الجملة ونسق العبارة وكيفية تكوينها في ضـــوء التفكير اللغوي الحديث، إلا إذا أشرنا إلى بعض القضايا، التـــي نراهـــا ضـــرورية للولوج في أغوار البنية التركيبية للنص القرآني المدروس.

حري بالإشارة إنَّه دار جدل طويل بين اللغويين القدماء في قضية التمييز بين الجملة والكلام ومقابلتها، وذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، فمنهم من يرى بأنَّ الجملـــة مرادفة للكلام وهو رأي الزمخشري في المفصل إذ يرى بأن "الكلمة هـــي اللفظـــة الدالة على معنى مفرد بالوضع وهي جنس تحته ثـــلاث أنـــواع: الاســـم والفعـــل، والحرف، والكلام هو (المركب) من كلمتين استندت إحداهما إلى الأخرى وذلـــك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك، وبشير صاحبك أو في فعل واسم نحو قولـــك ضُرب زيد، وانطلق بكر ويسمى الجملة"[1]. غير أن ابن هشام الأنصاري يرى بأن الكلام أخص من الجملة وليس مرادفا لها، مما جعله يرد على الزمخشري ومن رأى رأيه، وذلك بعدما انتهى من تحديد الكلام، والجملة قائلا: "....وبهذا يظهر لك أنهما ليس مترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، وهو ظاهر صاحب المفصل فإنه بعد أن فرغ من جد الكلام قال: ويسمى جملة والصواب أنها أعم منه، إذ شـــرطه الإفـــادة بخلافها ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلـــك ليس مفيدا فليس بكلام"[2].

---

(1) النحوي، شرح المفصل، ج1، ص18-19؛ انظر: العلوي، يحيى، الطراز، المجلد الثاني، ص18.

(2) الأنصاري، أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام (ت761هـــ)، مغني اللبيـــب عـــن كتـــب الأعاريب، حققه محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، ط1، ص215.

وفي الحقيقة أن الرأي الذي نطمئن إليه رأي ابن جنّي إذ استطاع أن يضع الإطار الصحيح الذي يحدد الكلام تحديدا دقيقا يوافق أغلب التحديدات اللغوية الحديثة إذ يقول: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه. مفيد لمعناه... نحو زيد أخوك، وقام محمد، ضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه.... فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة فهو كلام"[1].

وواضح من كلام ابن جنّي أنه يشترط في الكلام توفر عنصرين أساسيين هما الاستقلالية أو الاكتفاء الذاتي للّفظ والإفادة وبعد مناقشته للعناصر المكونة للكلام ينتهي إلى خلاصة جامعة بقوله: "فقد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها، وثبت أن القول عندها أوسع من الكلام تصرفا، وأنّه قد يقع على الجزء الواحد وعلى الجملة وعلى ما هو اعتقاد ورأي، لا لفظ وجرس"[2].

وطبيعي أن يختلف القدماء والمحدثون أيضا في تعريف الجملة نظراً لاختلاف المنطلقات وتباينها، ولعلّ الباعث على هذا التّنوع والتّعدد بين المحدثين، اختلاف المدارس اللغوية الحديثة في وضع تحديد صارم للجملة وقد يكون إيراد اختلاف المحدثين حول مفهوم الجملة ما يخرج بهذا البحث التطبيقي عن مجاله وحسبنا أن نقرّر بأن الجملة هي: "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[3] ومن هنا نجد بأن مستند القدماء والمحدثين في تحديد الجملة يُعزى أساساً إلى عنصري الاستقلال التركيبي للجملة وتضمنها لمعنى مفيد.

---

(1) ابن جني، الخصائص، ج1، ص17، 18، 32؛ انظر: النحوي، شرح المفصل، المجلد الثاني، ج8، ص59.

(2) ابن جني، الخصائص، ج1، ص32؛ انظر: موثان، جورج، مفاتيح الألفية، عربه وذيله بمعجم عربي، الطيب أبيكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981، ص78؛ انظر: المسدّي، عبدالسلام، والطرابلسي، ومحمد الهادي، الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص132-137.

(3) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص44.

وقد يكون من المفيد بأن تعرض لتصور القدماء والمحدثين لأركان الجملة وأنواعها لأن ذلك عمدة البناء النحوي لسورة آل عمران.

لقد اختلف القدماء في تقسيم أنواع الجمل العربية فابن هشام يرى بأنها تنقسم إلى ثلاث أقسام. اسمية، وفعلية، وظرفية، ثم قسم الجملة إلى جملة صغرى وجملة كبرى، وأخيراً تحدث عن انقسام الجملة الكبرى إلى ذات وجه، وإلى ذات وجهين[1].

أما الزمخشري فيرى بأنَّ الجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية[2]، وقد اعترض ابن يعيش على هذا التقسيم قائلا: "وهذه قسمة أبي علي وهي قسمة لفظية وهي في الحقيقة ضربان فعلية واسمية لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين الشرط، فعل، فاعل، والجزاء، فعل وفاعل. والظروف في الحقيقة للخبر الذي هو استقرَّ وهو فعل وفاعل"[3]. كما انتقد ابن هشام تقسيم الزمخشري بقوله: "وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية والصواب أنها من قبيل الفعلية"[4].

أمَّا تصور المحدثين لأقسام الجمل فيختلف نسبيا عن تصور القدماء، فقد قسَّموا الجملة إلى إسنادية وغير إسنادية وذكروا فروع كل منهما، يقول محمد حماسة: "الجمل التامة هي الجمل الإسنادية التي يكون فيها الإسناد مقصودا بالذات ويلزم فيها تضام عنصري الإسناد، ولا يحذف أحدهما إلا إذا دلت عليه قرينة حالية أو مقالية بحيث يكون المستمع في غير حاجة إليه.. أمَّا الجمل غير الإسنادية هي الجمل التي يمكن أن تُعدَّ جملا إفصاحية أي أنَّها كانت في أول أمرها تعبيراً انفعالياً يعبر عن التعجب أو المدح أو الذم أو غير ذلك من المعاني التي أخذ التعبيرُ عنها صورة محفوظة"[5].

---

(1) الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص420، 424، 427.

(2) النحوي، شرح المفصل، المجلد الأول، ج1، ص88.

(3) نفس المصدر السابق، المجلد الأول، ج1، ص88.

(4) الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص412.

(5) حماسة، محمد عبداللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر، ص78، 97.

بعد استعراضنا لتحديد الجملة وأنواعها عند المتقدمين والمتأخرين نجد الإشارة إلى الحديث عن نظرتهم لأقسام الجملة وأركانها.

ممَّا لا شك فيه أنَّ تباين نظرة القدماء والمحدثين إلى الجملة العربية وأنواعها أدَّى إلى تعدد مشاربهم وتنوع مذاهبهم في تصوّر أركان الجملة العربية وأقسامها وقد أومأ إبراهيم أنيس إلى هذا التباين في تصور أركان الجملة بقوله: "تختلف الفصائل اللّغوية في تحديد أركان الجملة، فبينما نرى الفصيلة الهندية الأوروبية تشترط في الجملة لتمام فائدتها أن تشتمل على مسند ومسند إليه، ثم على فعل من أفعال الكينونة يربط بينهما، نرى الفصيلة السامية تكتفي بالمسند والمسند إليه"[1].

ومن المتقدمين الأولين الذين قدَّموا تصوراً لهذين الركنين (المسند + المسند إليه) هو ابن هشام الأنصاري حيث يرى أن الجملة نوعان: "الاسمية: هي التي تصدّرها اسم، كزيد قائم، وقائم الزيدان... والفعلية هي التي تصدَّرها فعل، كقام زيد، ضرب اللص، كان زيد قائماً، يقوم زيد، وقم"[2] ثم يحدد المقصود بصدر الجملتين قائلا: "مرادنا بصدر الجملة المسند والمسند إليه، فلا غير بما تقدم عليها من الحروف"[3].

إن تحديد ابن هشام لأركان الجملة يختلف نسبيا عن تصوّر المحدثين ومكمن هذا الاختلاف أنه لا يعبأ بما تُقدم الجملة من حروف، وبهذا التصوّر بغض الطرف عن النواسخ أو بعض الأفعال التي تدخل على الجملة فتغير منحاها ومسارها.

أمّا تصوّر اللّغويين المحدثين لمكونات الجملة وللعناصر المتصلة بها فيقتصر على ثلاثة أركان هي المسند والمسند إليه وعملية الإسناد، وقد تُضاف إليها عناصر أخرى حين لا تكتفي العملية الإسنادية بذاتها فتتعدّى حينئذ إلى المفعول[4].

إن الثابت عند المحدثين في مكونات الجملة ومستويات التَّركيب فيها أنَّ "تصنيف الجمل العربية ما زال في حاجة إلى نظرة جديدة جذرية فالتصنيف النوعي

---

(1) إبراهيم، أنيس، من أسرر اللغة، ص276.

(2) الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص420.

(3) نفسه، ج2، ص421.

(4) طحّان، ريمون، الألسنية العربية، ص54.

الغالب الذي يَقْصُر الجملة العربية على الاسمية والفعلية ضاق عند استقطاب مختلف مظاهر الكلام العربي. والدرس الوظائفي قد اختنق بالأحكام لما قَبْلية الجاهزة التي تجعل المركب عالة على البسيط فتقضي على طرافة المركب من الكلام وتفضي إلى أبواب ومصطلحات قاصرة عن لم الأشتات"[1].

لقد نص عبدالسلام المسدّي وغيره من الباحثين بطرح بديلا لتصنيف الجمل لأن تصنيف القدماء والمحدثين لها حدَّ من سيولة التركيب اللغوي فتقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية قد لا يمس كامل أطراف التركيب اللّغوي، كما أنَّ كثرة حشد أنواع الجمل النحوية دون التمييز بينها، قد يفتح المجال أمام تصنيف قاصر عن احتواء الجمل الأكثر بروزا[2].

إن المنحى الذي نعتمده في دراسة الجملة النحوية لسورة آل عمران يستند إلى دراسة جماليات النظام النحوي، ببيان طرائق تكوين الجمل وخصائص تأليفها ودور نظم الكلمات ومواقعها النحوية في التركيب وأثر فاعلية النظام النحوي عامة في خلق علاقات تركيبية جديدة.

يرتكز وصف الجملة النحوية في سورة آل عمران على المزاوجة بين التراث العربي واللسانيات الوصفية، قصد استبطان دلالات التراكيب أو الجمل ونحاول التماس أصوله من كبار البلاغيين وذلك بدمج علم المعاني في الدراسة النحوية وهي الأدوات الناجعة في الوصف والتحليل.

إن تحليلنا للتراكيب النحوية لسورة آل عمران يقوم على منظور بلاغي معروف في تراثنا مستندين في ذلك إلى بعض الأسس اللسانية الحديثة كمنهج اللسانيات الوصفية، ونظرا لكثرة الجمل النحوية الواردة في سورة آل عمران فإننا سنختار الجملة الاسمية والجملة الفعلية، لأنهما العنصران الأصليان لقيام أي تركيب لغوي، وبهما تتحقق عملية الإبلاغ، ثم نقوم بدراسة مختلف أنماطها، كما سندرس بعض الجمل التي شكلت بروزا أسلوبيا كالجملة الموصولة والجملة الشرطية والجملة الاستفهامية.

---

(1) المسّدي، عبدالسلام، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، ص173.

(2) نفس المرجع السابق، ص180.

1.3 الجملة الاسمية وصورها

تشكل الجمل الاسمية سمة أسلوبية واضحة الملامح في سورة آل عمـــران إذ بلغ عددها (92) جملة توزعت حسب معاني الإثبات والنفي والتوكيد.

1.1.3 الجملة الاسمية المثبتة البسيطة

وهي الجملة التي لم يسبقها فعل أو حرف من النواسخ حيث تتـــألف الجملـــة الاسمية من مسند إليه ومسند أو من مبتدأ وخبر والمبتدأ لا بد أن يكـــون اســـما، أو ضميرا وأما المسند أو الخبر فلا بد أن يكون وصفا أو ما ينقل إليه مـــن الاســـم أو الجملة أو الجار والمجرور والظرف.

وقد وردت في ثمانية عشر موضعاً من سورة آل عمران وذلك فـــي قولـــه تعالى:

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية2.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ﴾ آية6.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ آية7.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ آية22.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ آية24.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ آية44.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ آية6.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ آية58.

﴿أُولَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ آية87.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ آية93.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ آية108.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ﴾ آية 117.

﴿أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ آية136.

﴿هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آية138.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ آية163.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ آية182.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ آية185.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آية197.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

أهم ما يميز نظام الجملة الاسمية المثبتة البسيطة أنها التزمت الترتيب المعتاد لنظام الجملة العربي يعني أنَّها خضعت في نظام ترتيب عناصرها إلى الشكل التالي:

المسند إليه + المسند ، فإن النمط المميز لهذه الآيات هو:

المبتدأ (اسم أو ضمير + خبر (موصوف أو غير موصوف) (صفة أو جار ومجرور أو ظرف).

من الأغراض الأسلوبية للنمط الأول من الجمل الاسمية ما نجده من دلالة الاختصاص في قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ آية167.

إن النص هنا يتجاوز بآلياته اللغوية تلك المقابلة بين المسلمين الذين يقاتلون حقا وبين المنافقين إلى دلالة الاختصاص ولهذا صيّر الجملة الاسمية لأنها أليق بمضمون اختصاص المنافقين بالكفر، ولعلَّ مقصد الاختصاص سمة من سمات التعبير القرآني، ومعناه: "أن تريد أن الفاعل قد فعل ذلك الفعل على جهة الاختصاص به دون غيره ويذكر على جهة الاستبداد، وهذا كما نقول أنا قتلت فلانا، وأنا الذي شفعت لفلان عند الأمير بالعطية..." [1] ويؤكد هذا أن الأمور التي تقع فيها المشاركة وردت بالجملة الاسمية وقد ساعد على نسج دلالة الاختصاص بعض

(1) العلوي، الطراز، المجلد الثاني، ج2، ص25، 26.

المكونات اللغوية للآية مثل كلمة "للكفر" وما تحمله من مضمون العصيان والوقوع في الخطيئة، وكذلك اسم التفضيل في قوله تعالى "أقرب" وقد يكون من وراء ميل النظم القرآني إلى الخطاب بالجملة الاسمية تأكيد الكفر لهم لأن أعذارهم ظاهرها الكذب وأرادوا بالمسلمين الهزيمة والفشل.

واللافت للنظر أن الآية اعتمدت الفصل بين طرفي الجملة الاسمية ويمكن أن نمثّل لهذا الفصل على النحو التالي: هم للكفر (مبتدأ) + فاصل (ظرف زمان) يومئذ + أقرب (خبر). ولعلَّ الفصل بين طرفي الجملة الاسمية بفاصل (ظرف زمان) له قيمة دلالية جليلة القدر، لأن المسلم لا تستطيع أن تميزه عن المشرك إلا بالأفعال والأقوال لكنَّ هؤلاء الفئة عندما التقى الجمعان في يوم أحد قد تركوا نبيهم وقالوا إن هذه تهلكة. "إنَّ ما يشاهد من حالهم يومئذ أقرب دلالة على أنهم يبطنون الكفر من دلالة أقوالهم: أنا مسلمون، واعتذارهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي عذرهم ظاهر الكذب"[1].

كما نجد تحقق غرض الاختصاص في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ آية136. لما كان المسلمون من المستغفرين لذنوبهم، وقد أقلعوا عن المعاصي حق لهم من ربهم مغفرة، وجنات تجري من تحتها الأنهار. فإنه قد صدر الجملة باسم الإشارة للدلالة على اختصاصهم بالمغفرة دون مشاركة أحد لهم ممن استهوتهم شهوات الحياة الفانية وأغراض الدنيا الزائلة "فجيء باسم الإشارة لإفادة أن المشار إليهم صاروا أحرياء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة"[2].

كما تحقق غرض الاختصاص في قوله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ أُولَاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آية119.

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص163.

(2) نفس المصدر السابق، ص175.

جاءت الجملة الاسمية قصد المقابلة بين فريق المؤمنين وبين أهل الكتاب فالمؤمنون يحبون أهل الكتاب وأهل الكتاب يبغضونهم. فقد صدر الجملة بحرف تنبيه وجاء الخبر اسم إشارة، فجاء حرف (الها) لتنبيه المؤمنين بما يدور حولهم وهم في غفلة عما يضمرون أهل الكتاب لهم.

2.1.3 الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة

هي الصورة الثانية من صور التعبير بالجمل الاسمية الواردة في سورة آل عمران وهي الجمل المسبوقة بأحد الحروف الناسخة. حيث وجد في هذه السورة سبعين جملة ناسخة وسوف نورد بعضا منها.

الجملة المؤكدة بـ (إنَّ). ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾ آية 36.

إن اعتماد هذه الآية على أداة التوكيد (إن) له ما يبرره تركيبياً ودلالياً أمَّا من حيث التركيب فإنها وردت في سياق مقول القول. وهو جواب امرأة عمران في صورة التحسر والاعتذار لله عز وجل في أن المولود لم يكن ولدا وإنما جاء أنثى. وهذا واضح من الآية إذ جاءت (إن) بعد الفعل قال في قوله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ آية 36.

فالتعبير القرآني أراد تثبيت بعض المقاصد الدلالية وتحقيقها في هذه الآية ومن هنا وقع التركيز على تمكين دلالة واضحة على التحسر والاعتذار لله عز وجل. غير أن الآية خرجت من معنى التأكيد وهو المعنى العام إلى غرض أسلوبي هو مناط استخدام "إن" فالأصل بالنذر لخدمة بيت المقدس أن يكون الجنس ذكرا. وهو الأمر المتفق عليه من قبل الناس في منطق النذر لله ولعلَّ تعبير امرأة عمران عن تحسرها واعتذارها بقولها: "ربي وضعتها أنثى". فكانت لها دلالة توحي بخيبة الرجاء بولادتها أنثى لكن جاء الأمر على غير ما تمنت فالمقصود من حكاية امرأة عمران التحسر وخيبة الأمل بأن توجهت إلى ربها في هذا الشأن وتأكيده بـ (إن) ليكون الأمر لا مفرَّ منه بأنَّها قد وضعت أنثى ولم يكن ذكراً.

كما نجد في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾آية37.

لقد وردت الجملة المؤكدة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾آية37. في سياق الرد على سؤال زكريا عليه السلام لمريم عندما وجد عندها طعاما وهي في المحراب، والتي لا يدخل عليها سوى زكريا وإذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كذلك، فهذا الأمر أثار الدهشة عند زكريا عليه السلام فقال لها: "أنى لك هذا" فقالت: هو من عند الله، فتأتي الجملة المؤكدة لتثبت هذا الشيء وتؤكد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾آية37. وهذا التكريم مستمر غير منقطع فكان (الخبر) لفظ "يرزق" دالاً على الاستمرارية والتجدد، فقد جاءت الجملة لتزيل شك سيدنا زكريا بمصدر الطعام عن طريق استخدام الجملة الاسمية المؤكدة (بأن).

وقد تتعدى الجملة الاسمية التوكيد بمؤكد واحد، إلى أكثر من ذلك ويتعلق الأمر بالمواطن التي ترتبط بالإنكار، فتأتي "إنَّ" في الآية تساندها اللام لغاية التأكيد حيث يقول الجرجاني: "وأما جعلها إذا جمع بينها وبين اللام نحو: إن عبد الله لقائم، للكلام مع المنكر لأنه إذا كان الكلام مع المنكر كانت الحاجة إلى التأكيد أشد وذلك أحوج ما تكون إلى الزيادة في تثبيت خبرك إذا كان هنالك من يدفعه وينكر صحته"[1] وقد تحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾آية190.

جاءت هذه الآية في مقام الاعتبار بخلق العالم لقصد الاستدلال على أن هنالك خالقاً واحداً لا شريك له، لأن هذا المخلوقات من كواكب سيارات وبحار وجبال وقفار وأشجار ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح كذلك تعاقب الليل

---

(1) الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله محمد عبده، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص250، 251، 252.

والنهار هذه الأشياء كلها لا يدركها إلا العقول الزكية النيرة التي تدرك الأشياء بحقائقها لأن هؤلاء يتفكرون في آيات الله عز وجل.

فالغرض الدلالي من هنا تأكيد دلالة انتفاع ذو الألباب بالنظر إلى آيات الله عز وجل لحسن سلامة حواسهم، والمتأمل في تشكيل مضمون التأكيد وتحقيقه لمعنى الانتفاع بالنظر إلى آيات الله عز وجل وهذا الانتفاع لا يتاح إلا لأصحاب العقول السليمة.

فنلاحظ أن التعبير القرآني لم يكتف بمؤكد واحد بل تعدى ذلك إلى استخدام مؤكد ثاني لأن مقام الحديث يتطلب ذلك لغرض التثبيت والتّمكن بالأمر.

3.1.3 الجملة الاسمية المنفية المنسوخة

وهي الجمل المسبوقة بأداة نفي وقد ورد من هذا النمط التعبيري خمس آيات كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾آية2. تضمنت هذه الآية أداة النفي (لا) وقد دخلت على اسم نكرة فأفادت نفي الجنس وذلك قصد التأكيد في نفي الألوهية عن غير الله. وهو الوحيد المستحق للعبادة فجاءت هذه الآية رداً على المشركين وعلى النصارى خاصة، فكانت الجملة الاسمية المنفية ذو دلالة واضحة في بيان توحيد الله وإفراده بالألوهية.

ومن الجمل الاسمية التي تضمنت النفي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

ومعنى "لا ريب فيه" المراد هنا لا شك في وقوعه في جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾آية9. أي بأن الله صادق وعده بجمعهم يوم القيامة.

فجاءت الجملة الاسمية لتؤكد على صدق كلام الله عز وجل بأنه جامع الناس وهذا أمر لا شك فيه وهذا ما أثبتته الجملة المنفية.

2.3 الجملة الفعلية وصورها

تستخدم سورة آل عمران الجمل الفعلية على اختلاف أنماطها وصورها قصد الإخبار عن الحدث في زمن ما. وتتألف الجملة الفعلية من (فعل + فاعل) أو فعل + نائب فاعل. والفعل في هذه الجملة لا بد أن يكون فعلا ماضيا أو مضارعا أو أمـــرا والفاعل في هذه الجملة إما أن يكون اسما أو ضميرا.

1.2.3 جملة الماضي

وهي نمط متميز من أنماط الجمل الفعلية وقد تفرع عنها ما يلي من الجمل.

1.1.2.3 الجملة الفعلية المثبتة البسيطة

وهي نوع من الجمل المجردة من أداة التوكيد والنفي وقد تحققت هذه الصورة في المواضع التالية:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ آية 37.

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ آية 37.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ آية 38.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ آية 38.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً﴾ آية 41.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ﴾ آية 42.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ آية 47.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آية 49.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا﴾ آية 73.

﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ آية 148.

﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ﴾ آية 174.

والظاهر أن الفعل الغالب على هذا النوع من الجمل هو الفعل (قـال) حيـث ورد خمس مرات على صيغة الماضي تنبيها على الاستفسار والطلب والدعاء وجاء فعل شهد: لغرض الإقرار وجاء فعل مكروا لدلالة الـتهكم والسـخرية بالمشـركين فالجملة المشتملة على فعل ماض ولا تشتمل على نفي تخضع في نظامها إلى ترتيب معين تكاد تلتزمه وهي: المسند + المسند إليه.

2.1.2.3 الجملة الفعلية المثبتة المنسوخة

يرتبط هذا الصنف من الجمل الفعلية بالتوكيد وقد استخدمت سورة آل عمران هذا النوع من الجمل ومن وسائل التوكيد.

1.2.1.2.3 التوكيد بالمصدر

وهو نمط تعبيري وتهدف هذه الصيغة التركيبية للتعبير عن وقوع الحدث في زمان ماض قريب من الحال، علاوة على التأكيد وهو المقصود من تأكيد المفعـول المطلق وقد تحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾آية37.

نلاحظ على هذه الصيغة التركيبية بأنها استندت إلى المفعول المطلق باعتباره وسيلة ضرورية من وسائل التوكيد، حيث جاءت هذه الآية على النمط الآتي: فعل + فاعل (مستتر) + مفعول به + مفعول مطلق، فجاء التأكيد في مقام قبول الله تعـالى لمريم ورعايتها حسن الرعاية.

2.2.1.2.3 التوكيد بالحرف "قد"

من وسائل التوكيد البارزة في سورة آل عمران "قد" المفيـدة للتحقيـق وقـد "حكى الجوهري عن الخليل أنه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقا إلى سماعه، كقولك لمن يتشوق سماع قدوم زيد: قد قدم زيد، فإن لم يكن، لم يحسن بها،

بل تقول: قام زيد"[1] وقد ارتبطت بفاء الفصيحة ودخلت على الماضي في عشرة مواطن، ويظهر ذلك في قوله تعالى:

﴿فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ آية20.

﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آية101.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ آية118.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ آية137.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آية144.

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ آية154.

﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ آية165.

﴿ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي﴾ آية183.

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ آية184.

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ آية193.

ولغرض تشويق السامع لمعرفة مصير الذين أعرضوا عن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام جيء بـ (قد) مسبوقة بالفاء الفصيحة لأنها أفصحت على شرط مقدر، ولعلّ من أكثر هذه الآيات لدلالة التشويق، قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ آية20. فالسامع ينتظر بشوق ولهف مضمون الجملة الواقعة بعد "قد" وقد زاد من جمال هذا التشويق الفعل (اهتدوا) لما تحمله من دلالة المفاجأة، فالسامع يتلهف لمعرفة القادم، فالنمط المميّز لهذه الآية: الفاء الفصيحة + قد + فعل ماض + فاعله.

---

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص417.

3.2.1.2.3 التوكيد بالحرف "لقد"

وقد وردت هذه الصورة في ستة مواطن من سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ آية 123.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ آية 143.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ آية 152.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ آية 155.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ آية 164.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ آية 181.

ما يميز توكيد الجمل الماضية بـــ (لقد) بأنها سبقت بالواو في أربعة مواطن، ووردت مجردة من الواو في موضعين وخليق بالملاحظة في هذا المقام أن تأكيد هذه الجمل قد اعتمد على اللام المؤكدة، مع "قد" التي تفيد معنى التحقيـــق ذلـــك لزيـــادة شحنة التوكيد وتكثيفها.

3.1.2.3 الجملة الفعلية المنفية المنسوخة

نجد في سورة آل عمران عشر آيات سبقت بأداة النفي (ما) وذلك في قولـــه تعالى:

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ آية 19.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ آية 44.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آية 44.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آية 117.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ آية 126.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ آية 145

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾آية147.

﴿مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾آية154.

﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾آية156.

﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ آية190.

وقد استوفت هذه الآيات معنى النفي لأنه "لا تكون الجملة منفية بالمعنى اللغوي الذي يترتب عليه الخضوع لنظام معين في تلك الجملة إلا حين تكون مصدرة بأداة النفي... وأكثر ما تكون الجمل الماضوية المنفية أو الاستفهامية حين يكون ترتيبها كالآتي: أداة النفي + المسند + المسند إليه[1].

إذن النظام الغالب على ترتيب عناصر الآيات السابقة هو: أداة النفي (ما) + فعل (ماض) مسند + فاعل (مسند إليه) + متممات الجملة.

2.2.3 الجملة المضارعة

تعددت أنواع الجمل المضارعة في سورة آل عمران وتفرعت إلى الأنماط التالية:

1.2.2.3 الجملة الفعلية المثبتة البسيطة

وقد تحقق هذا النمط من الجمل في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾آية30.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾آية39.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾آية58.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾آية106.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾آية129.

---

(1) إبراهيم، أنيس، من أسرار اللغة، ص312.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ آية 170.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ آية 110.

فالصورة العامة التي يمكن أن تجمع هذه الجمل هي: المسند + المسند إليه غير أننا نلاحظ الفعل المضارع متضمنا زمن الاستقبال والنظام في هذه الجمل هو على النحو الآتي:

فعل مضارع + فاعل + متعلقات الجملة وهي غالبا الجار والمجرور.

2.2.2.3 الجملة الفعلية المثبتة المنسوخة

أكدت الجملة المضارعية المثبتة بوسائل متعددة أهمها:

1.2.2.2.3 التوكيد باللام (لام التعليل):

وقد كان هذا التوكيد في سورة آل عمران في أحد عشر موضعا وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة. بقوله عز وجل:

﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ آية 23.

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ آية 81.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ آية 141.

إن النظام الغالب على ترتيب عناصر هذه الآيات هو: لام التعليل + فعل مضارع + فاعله + متعلقات الجملة

2.2.2.2.3 التوكيد بالسين

السين وردت في القرآن الكريم لتأكيد الوعد والوعيد، والإخبار بالغيب والترغيب والترهيب، إلا أن ورودها لتأكيد الوعد والوعيد هو الأكثر استخداما.

وقد ترددت في سورة آل عمران في ثلاثة مواضع من قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾آية145. وفي تصدير جملة "سنجزي الشاكرين" بالسين لغرض التأكيد على رفعة شأن جزاء الشاكرين لله عز وجل.

كذلك جاء حرف السين لقصد الوعيد من الله عز وجل للذين كفروا ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾آية145.

فجاءت السين لغرض التأكيد بالوعيد في كلمة (ستغلبون) حيث يقول أبو السعود "ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عاداهم..." [1].

وفي مثال آخر يقول الله عز وجل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾آية181. كذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾آية180.

فقد جاءت السين في (سيطوقون وسنكتب) لغرض تأكيد الوعيد الذي ينتظر لكل من يبخل بماله ومن ظنوا بأنهم أغنياء بأموالهم وبأن هذا المال سد منيع يمنعهم من عذاب الله فتأتي السين لتؤكد عذابهم في نار جهنم.

أما لنظام المميز لترتيب عناصر هذه الآيات فهو كالآتي:

أداة التوكيد (السين) + فعل مضارع + فاعله (ضمير متصل أو مستتر) + متعلقات الجملة.

3.2.2.2.3 التأكيد بـ (لن)

جاءت "لن" في القرآن الكريم لتأكيد نفي المستقبل[2] يقول صاحب الطراز: "تختلف "لن" عن "لا" في أن "لن" آكد من "لا" في نفي المستقبل مطلقا"[3].

ويتفق النّسفي في تفسيره في أن (لن) آكد من (لا) [4] كذلك من بين من قالوا بأن (لن) تفيد تأكيد نفي المستقبل المسدّي إذ قال: "ولن معناها نفي المستقبل وهي تنفي

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص279.

(2) النحوي، شرح المفصل، ج8، ص111.

(3) العلوي، الطراز، ج2، ص208.

(4) النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبدالله بن أحمد (ت710هـ)، تحقيق مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، الجزء الثاني، ص410.

المستقبل نفيا مؤكدا"[1] ونجد هذا النوع من التأكيد ورد في سورة آل عمران في سبعة مواضع في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾آية15. فجاءت الآية في مقام "أن الله لا يقبل دينا غير الإسلام منذ نزول هذه الآية وإلى يوم القيامة. (ولن) هنا معناها الحال المنسحب إلى الاستقبال"[2].

وقريب من الآية السابقة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَـئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾آية10. فجاءت (لن) لنفي وتأكيد استفادة الكفار من أموالهم وأولادهم

3.2.2.3 الجملة الفعلية المنفية المنسوخة

1.3.2.2.3 النفي بـ (لا)

من وسائل النفي المستخدمة في سورة آل عمران النفي بـ (لا) وقد تحقق ذلك في تسعة عشر موضعا منها قوله تعالى:

﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾آية5.

﴿لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾آية9.

﴿لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾آية32.

﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾آية77.

﴿وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾آية140.

لجأ التعبير القرآني إلى استخدام أداة النفي (لا) دون غيرها لأنها أصل النفي، وقد ورد الفعل المنفي بعدها مضارعا، وتختص (لا) بنفي المستقبل. وكما يلاحظ على هذه الآيات أنها تداخلت أسلوبيا من حيث بينتها النحوية وبينتها الدلالية، فنجد هذا النمط من الجمل قد ارتبط أساسا برد الله عز وجل على الذين أشركوا به وكانوا

---

(1) الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، ص160.

(2) المطردي، عبدالرحمن، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1986، ط1، ص71.

أصحاب حجج باطلة، ولهذا كثر النفي بـــ (لا) دون غيرها من أدوات النفـــي ومـــن هنا تعانقت البنية التركيبية مع البنية الدلالية، وقد خضعت هذه الآيات فـــي نظامهـــا إلى الترتيب التالي: أداة النفي (لا) + المسند (فعل مضارع) + مسند إليه (فاعل) + ملحقات الجملة.

2.3.2.2.3 النفي بـــ (ما)

وقد وردت في سورة آل عمران في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾آية7.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾آية7.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾آية70.

تضمنت هذه الآيات أداة النفي (ما) نفي الماضي والمضارع وقد اختصت في هذه التراكيب اللغوية بنفي المضارع المفيد لمعنى الاستقبال كما خضعت في نظامها إلى الترتيب التالي: أداة النفي (ما) + فعل مضارع + فاعله + متعلقات الجملة.

إن اعتماد سورة آل عمران على الجملة الاسمية والجملـــة الفعليـــة وعلـــى صورها وأشكالها يتبين مدى تميز التعبير القرآني في اختيار مكوناتـــه اللغويـــة إذ "تستخدم الجملة الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، والاســـمية للثبـــوت والاستقرار، والمراد بالتجدد في الماضي حصوله، وفي المضارع تكراره"[1].

ولعلّ الجمع بين التجدد والثبات مناسب للمقاصد الدلالية لسورة آل عمـــران وبهذه المزاوجة بين نمطيّ الاختلاف والائتلاف تتولد القيم الخلافية مـــن التراكيـــب النحوية.

---

(1) بدوي، أحمد، بلاغة القرآن، ص107.

3.3 الجملة الموصولة وصورها

من جمال التعبير القرآني في سورة آل عمران استخدام الجملة الموصولة على اختلاف أنواعها وأنساقها حيث نجدها في هذه السورة في تسعة وخمسين موضعاً. ممّا يقرر انسجاماً وتداخلاً أسلوبياً بين مختلف الصيغ التركيبية.

وقبل الخوض في دراستها نرى من الضروري أن نوضح الباعث على هذا الاستخدام المنفرد للجملة الموصولة، حيث تشير أمهات النحو العربي إلى أن "الموصولات -كلها سواء أكانت اسمية أم حرفية- مبهمة المدلول. غامضة المعنى، فلا بد لها من شيء بعدها واجب التأخير عنها، يزيل إبهامها وغموضها وهو ما يسمى "الصلة" فالصلة هي التي تعين مدلول الموصول، وتفصل جمله، وتجعله واضح المعنى كامل الإفادة"[1].

ومن هنا فإن اعتماد أسماء الموصول وهي المبهمات له ما يبرره أسلوبيا فالناظر في سورة آل عمران يجد أنها تعتمد أسماء الموصول بدرجات متفاوتة وفقا لأغراض الأسلوبية والمقاصد البلاغية للآيات فعندما يتعلق الغرض بأمر معروف عند المخاطب أو السامع يؤتى بالصلة معلومة مفصلة وعندما يتعلق الأمر بغرض التفخيم أو التعظيم أو التهويل أو غير ذلك من المعاني البلاغية، يؤتى بالصلة مبهمة غير دالة على شيء معين مفصل.

إن دراستنا للجملة الموصولة تختلف نسبيا عن معالجة القدماء لها إذ ينطلق منهجنا في اكتشاف أنماط الجمل من الجمل الموصولة باعتبارها أسلوبا مستقلا قائما بذاته محاولين تتبع انسجام طرفيها واختلافهما.

وقد يكون الداعي إلى تناولنا للجملة الموصولة أسوبيا هي مكمن مغايرة طريقة القدماء في معالجتها، إن من النحاة من يرى بأن صلة الموصول جملة لا محل لها من الإعراب وبهذه النظرة الجزئية لمكونات الجملة يضيع طرفها الثاني، وهو أولى بالدراسة لأنه يتوفر طرفي جملة إسنادية، يقول ابن هشام في معرض حديثه عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب: "والجمل التي لا محل لها من

---

(1) حسن، عباس، النحو الوافي، ج1، ص373.

الإعراب هي الجملة الواقعة صلة لاسم أو حرف فالأول نحو "جاء الذي قـام أبـوه" فالذي في موضع رفع، والصلة لا محل لها"[1].

وقد عاب عبد السلام المسدّي طريقة النحاة في تناولهم للجملة الموصولة وقد يكون ابن هشام من أكبرهم إذ يقول: "قلما تحظى صلة الموصول بدراسـة نحويـة مستقلة إذ كثيرا ما يتفرع النحاة إمّا إلى دراسة الاسم الموصول، وإما إلـى دراسـة علاقة كل من الصلة والاسم الموصول بالسياق الوظائفي عامة"[2].

فالتصور الصحيح للجملة الموصولة أسلوبيا –هو تناولها ضمن إطار شـامل متكامل يجمع طرفيها وهذا ما أومأ إليه عبد السلام المسدّي بقوله: "ونحن إذا أمعنـا النظر في صلة الموصول بمفردها وجدناها تركيبا لغويا قائم الذات، متكامل البنيـة النحوية، حاويا لشبكة الوظائف الدنيا من حيث الإسناد، ووظيفته النحوية تحديد الاسم الموصول الذي بدوره يرتبط عضويا بالسياق التركيبي"[3].

إن المنحى المعتمد في دراسة الجملة الموصولة ينطلق من دراسة الأسـماء الموصولة منفردة بحسب شيوعها، قلة وكثرة في سورة آل عمران ثم دراسة جملـة صلة الموصول ومعاينة مكوناتها اللّغوية ثـم ملاحظـة ارتبـاط طرفـي الجملـة الموصولة، اسم الموصول + صلة الموصول من حيث اختلافها وائتلافها.

1.3.3 الاسم الموصول "الذي"

من السمات اللغوية المميزة لسورة آل عمران أنها تستخدم الاسم الموصـول "الذي" استخداما جماليا رائعا، وذلك لقيمته البلاغية وقد نبه عبد القـاهر الجرجـاني إلى مغزاه الدلالي بقوله: "اعلم أن لك في "الذي" علما كثيرا وأسراراً جمة وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها، اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما تفضـي

---

(1) الأنصاري، مغني اللبيب، ج2، ص457.

(2) المسدّي، عبدالسلام، الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، ص160.

(3) نفس المصدر السابق، ص160-161.

بك من اليقين.... فمن ذلك قولهم: أن "الذي" اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل"[1].

ولعل المقصود بعبارة الجرجاني في قوله: "ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل" ما يشير إليه بعض النحاة ومنهم الأنباري بقوله: "فإن قيل فلم أدخلت الذي والتي في الكلام قيل توصلا إلى وصف المعارف بالجمل لأنهم لما رأوا النكرات توصف بالمفردات والجمل نحو مررت برجل ذاهب، ومررت برجل أبوه ذاهب، وذهب أبوه، وما أشبه ذلك ولم يحسنوا أن يجعلوا النكرة أقوى من المعرفة وآثروا التسوية جاؤوا باسم ناقص لا يتم إلا بالجملة فجعلوه وصفا للمعرفة توصلا إلى وصف المعارف بالجمل...." [2].

وقد ورد الاسم الموصول "الذي" في أربع آيات ذلك في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آية6.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آية7.

إن نمط التوافق والانسجام الأسلوبي لهذه المكونات اللغوية للآيات السابقة يجسم تطابقا دلاليا وتركيبيا ويمكن أن نوضح هذا التداخل الأسلوبي بين البنية الدلالية والبنية النحوية.

فنجد الظاهرة الأسلوبية المميزة للآيات السابقة أن صلة الموصول جمل فعلية فعل (ماض أو مضارع) + فاعله + مفعوله. فورد الفعل الماضي أو المضارع بعد الاسم الموصول "الذي" لغرض إثبات وتقرير وحدانية الله عز وجل، عن طريق الفعل "أنزل، ويصوركم".

كذلك نجد سمة أسلوبية أخرى في الآيتين بتصديرهما بالضمير المنفصل "هو" الدال على الغائب –العائد على الله عز وجل– فلم عدل النظم الجليل إلى الضمير دون الاسم الصريح؟. من خصائص التعبير القرآني أنه يلجأ إلى ذكر الاسم مرة واحدة ثم يعدل عن ذكره، القصد تفادي التكرار وذلك لأغراض بلاغية، وقد اعتمد

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص154.

(2) الأنباري، أبي البركات عبدالرحمن بن محمد (ت513-577هـ)، أسرار العربية، تحقيق: فخر صالح قدّاره، دار الجيل، بيروت، ص65.

هذا النهج في هذه الآيات، لأنه قبل أن يستخدم الضمير المنفصل "هو" مقرونا بالاسم الموصول "الذي" وكلاهما يحمل دلالة الإبهام والغموض، لكن جاء اسم الجلالة فصرح به بالآية السابقة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾آية5. لذلك أزالت هذه الآية الغموض عن الآيات السابقة.

فلما جاء اسم الله تعالى مصرحا به في ذكر آيات القدرة الإلهية استعيض عنه في الآيات اللاحقة ولعلَّ تصدير الآية الخامسة باسم الله ذلك لأنه هو المقصود لبيان آثار قدرته عز وجل.

فجاءت الجمل على النمط التالي: ضمير منفصل + اسم موصول (الذي) + صلة الموصول (جملة فعلية + فاعله + مفعوله).

2.3.3 الاسم الموصول "الذين"

ورد الاسم الموصول الذين في خمسين موضعا من سورة آل عمران وسنكتفي بذكر بعضها، وذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾آية100.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾آية102.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾آية118.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾آية130.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾آية148.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾آية200.

نلاحظ من خلال الآيات السابقة أنها بنيت على نموذج تركيبي واحد يعكس جمال الأسلوب التعبيري لسورة آل عمران، وذلك من خلال التزامها لطرفي الجملة الموصولة (الاسم الموصول + صلة الموصول) كما أنها تبدأ بأداة النداء "يا أيها".

ومن مظاهر الانسجام الأسلوبي للآيات السابقة ورود صلة الموصول على شكل جملة فعلية فعلها (ماض..) متضمن معنى الثبوت والاستقرار للفعل وبالتالي

يكون نمط ترتيب هذه الآيات كما يلي: أداة النداء (يا أيها) + اسم الموصول(الـذين) +فعل (ماض) + فاعله (ضمير متصل) + متممات الجملة.

ولعل هذا التوافق الأسلوبي بهذه الآيات يعكس توافقا دلاليـا قوامـه دلالـة مركزية قائمة على طلب الله عز وجل من عباده ليصغوا إلى وصايا فيهـا صـلاح دينهم لذا نلاحظ أن هذه الجملة يتبعها أمر أو نهي في الغالب والخطـاب مخـتص للمؤمنين.

3.3.3 الاسم الموصول "التي"

.وهو من الأسماء الموصولة التي وردت بنسبة ضئيلة في سورة آل عمـران حيث ظهرت مرة واحدة ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾آية130.

إن النسق التعبيري للاسم الموصول "التي" ورد جملة فعلية فعلها ماض مثبت ويمكن أن نوضح نظام ترتيب هذه الآية كما يلي:

اسم موصول (التي)+صلة الموصول (جملة فعليـة) فعلهـا مـاضٍ مبنـي للمجهول+نائب فاعل (ضمير مستتر)+متعلقات الجملة.

4.3.3 الاسم الموصول "من"

من الآيات التي جاءت متضمنة للاسم الموصول "من" قوله تعالى:

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾آية74.

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾آية73.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾آية97.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾آية129.

إن الانسجام التركيبي لهذه الصيغ النحوية تتجلّى من خلال صلة الموصـول التي جاءت كلها جملا فعلية فعلها (مضارع أو ماض) كما نلمح تعانق البنية النحوية مع البنية الدلالية بواسطة عائد الفعل (الماضي أو المضارع) الـذي جـاء ضـميرا مرفوعا مستترا (هو) ولعل في عدم بيان مرجع الضمير نكتة بلاغية وهي أن البنية

الدلالية للآيات حلت محل الضمير، واستغنت عنه لاكتفائها بالفعل الظاهر المثبت هو أقوى دلالة على تصوير الحدث ومن هنا تضافرت البنيتان وبالتالي يكون نمط هـذه الآيات كما يلي: اسم الموصل (من) + صلة الموصول (جملة فعلية) فعل مـاض أو مضارع + فاعله + متممات الجملة.

4.3 الجملة الشرطية وصورها

تعد الجملة الشرطية من أهم الدعائم التركيبية التي قامت عليهـا سـورة آل عمران ولقد استخدم النظم القرآني أسلوب الشرط استخداما فنيا بديعا، بحيث تنوعت أنماطه وتباينت أنظمته واتساقه وهو "أسلوب لغوي ينبني عليه جملة ميكانيكية تتألف من أداة (حرف أو اسم) ومن تركيبين سمي الأول الشرط والثاني الجواب والجزاء، تقوم الأداة بربط التركيبين أو الشقين ارتباطا وثيقا يحول دون استقلال أحدهما عـن الآخر: ينزل الشق الأول منزلة السبب وينعدم الثاني إذا انعدم الأول"[1].

تنطلق معالجتنا للجملة الشرطية من معاينـة عناصـرها ومحاولـة رصـد مكوناتها اللّغوية، رغبة في تحديد النظام الغالب على ترتيب عناصرها.

وسبيلنا في دراستنا هو الاعتماد على ملاحظة أدوات الشرط الأكثر شـيوعا وانتشارا في فضاء سورة آل عمران.

1.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (إنْ)

تحققت هذه الصورة في سبع وعشرين آية من سورة آل عمـران وسـنكتفي بذكر بعضٍ منها، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ آية20.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ آية20.

---

(1) طحّان، ريمون، الألسنية العربية، ج2، ص91؛ انظر:النحـوي، شـرح المفصـل، ج4، ص41؛ انظـر: الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها،دار الشرق العربي، بيروت، ج2، ص53.

يمكننا أن نميز في هذا التركيب الشرطي جملة من الظواهر الأسلوبية البلاغية:

أولا: ورود جملتي الشرط والجواب ماضيتين والأصل خلاف ذلك لأن "حق إنْ الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنك تشترط فيما يأتي أن يقع شيء لوقوع غيره فإن وليها فعل ماض أحالت معناه إلا الاستقبال"[1].

وأغلب الظن أن عدول النظم القرآني عن المضارع إلى الماضي لغرض بلاغي وهو تضمن الفعل الماضي (أسلموا) معنى المستقبل وتقدير الآية (فإن يسلموا يهتدوا).

لذلك نجد أن هذه الجملة خرجت عن مقتضى الظاهر إذ أنها تؤدي معنى جديداً وهو غرض (التفاؤل) فالرسول عليه السلام يتفاءل بإسلام أهل نجران بدليل أن الجملة الشرطية قد سبقت بلفظ "أأسلمتم" والاستفهام هنا مستعمل في التحضيض، وجيء بصيغة الماضي في قوله "أأسلمتم" دون أن يقول "أتسلمون" للتنبيه على أنه يرجو تحقق إسلامهم"[2].

أما النظام الغالب على ترتيب عناصر الآية السابقة فهو كالآتي:

الجملة الشرطية = أداة الشرط (إنْ) + الشرط (أسلموا) + الربط (الفاء) + الجواب (فقد اهتدوا).

2.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة "من"

من الآيات التي اعتمدت على الأداة (مَنْ) ست عشرة آية وسنكتفي بذكر بعضاً منها، ذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ آية 145.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ آية 145.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آية 161.

---

(1) النحوي، شرح المفصل، المجلد الثاني، ج8، ص156.

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص202.

الملاحظ على طرفي الشرط والجزاء في الآيـة الأولـى بأنهمـا متحـدان ومؤتلفان من حيث دلالتهما على المضارع ومتقاربان من حيث المعنـى، والعلاقـة بينهما قائمة على الارتباط السببي فالشرط سبب الجزاء وأداة الشرط "من" للعاقل.

وقد أحسن التعبير القرآني اختيار الفعـل المضـارع فـي طرفـي الجملـة الشرطية، إذ فعل الشرط في قوله "يُرد" يدل علـى الديمومـة فـي طلـب الـدنيا والاستمرار ولعل الغرض البلاغي من اتحاد الفعلين وتقارب دلالتي طرفي الجملـة الشرطية هو تقليل شأن الجزاء وفي الآية الثانية ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾. جـاءت الدلالة لتفخيم وتعظيم الجزاء لأن الطلب الأول هو شيء لا قيمة له وهو متاع الدنيا أما الثاني فهو شيء سامٍ وهو طلب الآخرة.

وقد رتبت عناصر الجملة الشرطية كما يلي:

جملة الشرط = أداة الشرط + الشرط + الجواب

من + يرد + نؤته

من + يرد + نؤته

من الأنماط التركيبية المشابهة للآية السابقة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ آية 161.

ورد طرفا الجملة الشرطية في الآية هنا متحدين من حيث مجيئهما بصـيغة المضارع الدال على تجدد الفعل واستمراره، والعلاقة بين الشرط والجـواب قائمـة على الارتباط السببي. واللافت للانتباه أن طرفي الجملة الشرطية تقاربا من حيـث الدلالة والمعنى ففي قوله (ومن يغلل) إشارة إلى أخذ الغنائم ومنع حـق المجاهـدين فيها فجاء الخبراء (يأت بما غلَّ) من جنس الشرط، ولعلَّ في تقارب معنى الشـرط والجواب ما يوحي بغرض تفخيم الجزاء وتهويله.

وقد خضعت هذه الآية في ترتيب عناصرها إلى الشكل التالي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الجواب

(من) للعاقل + يغلل + يأت بما غل

3.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (لو)

وردت الأداة "لو" في سورة آل عمران في سبعة مواضع وسنذكر أمثلة عليها ذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ آية 168.

وردت هذه الجملة الشرطية في سياق الحديث عن المنافقين الذين تخلوا عن المسلمين في معركتهم في أحد وقد ورد الشرط والجواب مؤتلفين، إذ وردتا بصيغة الماضي ذلك لغرض التمني والطلب والتحسر، فعند اختيار التعبير القرآني "لو" الامتناعية، دون قرينة تدل على امتناع الجواب أو ثبوته، ولعلَّ الغرض من هذا التركيب الشرطي إبراز حالة المتخلفين عن الجهاد بالتحسر على من قتلوا ولم يسمعوا النصيحة ولكن لم يستمعوا لهم مع القدرة بسماع النصيحة، وذلك للتنويه على حالة هؤلاء المتخاذلين.

أما النمط المميز للآية السابقة هو كالآتي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الجواب

لو + أطاعونا + ما قتلوا

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ آية 91.

جاءت الأداة "لو" مسبوقة بواو، وقد اختلف النحاة في توجيهها فمنهم من يرى أن هذه (الواو) هي للحال والجملة وردت لبيان عموم الأحوال بمعنى أن ما قبل (لو) جاء على سبيل الاستقصاء، وما بعدها جاء لبيان حكم لا يندرج فيما قبلها، ومنهم من يرى أن هذه الواو الداخلة على (لو) للعطف على حال محذوفة"[1].

وفي تفسير هذه الآية لابن عاشور يقول: "وعندي أن موقع هذا الشرط في الآية جارٍ على استعمال غفل أهل العربية عن ذكره وهو أن يقع الشرط استئنافيا بيانيا جوابا لسؤال، محققاً أو مقدراً يتوهمه المتكلم من المخاطب فيريد تقديره فلا يقتضي أن شرطها هو غاية للحكم المذكور قبله، بل قد يكون كذلك، وقد يكون السؤال على حد قولهم مجرد استغراب من الحكم فيقع بإعادة ما تضمنه الحكم تثبيتا

---

(1) الأندلسي، البحر المحيط، ج3، ص307، 308.

على المتكلم على حد قولهم (أدر ما تقول فيجيب المتكلم بإعادة السؤال تقريرا له... إذن هذا الشرط جاء للتأكيد"[1].

وأغلب الظن أن الغرض الأسلوبي من التركيب الشرطي السابق يكمن في التأكيد لدى السامع بأنهم لو قدَّموا ذهباً فداءً لأنفسهم فلن يقبل منهم، فنرى أن الجملة جاءت على النمط التالي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + جواب

لو + افتدى به + (محذوف)

4.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (أمّا)

يستخدم التعبير القرآني في الجملة الشرطية الأداة (أما) وهي أداة شرط وتفصيل بدليل لزوم الفاء في جوابها وقال الزركشي: "فائدتها في الكلام أنها تكسبه التأكيد تقول: زيد ذاهب فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب قلت: أما زيد فذاهب"[2].

وقد تضمنت سورة آل عمران خمس آيات متضمنة الأداة (أما) وسنكتفي بذكر بعض الأمثلة في قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ آية 7.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ آية 56.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ آية 57.

نلاحظ من خلال هذه الآيات أن فعل الشرط محذوف دائما وجاء جواب الشرط بصيغة المضارع مقترنة (بالفاء) وأكبر الظن أن في توالي الجمل الفعلية بصيغة المضارع له ما يبرره دلاليا وتركيبيا، أما من ناحية الدلالة فإن الآية الأولى تشير إلى التجدد والاستمرارية لأن مقام الآية جاء للحديث عن زيغ قلوب أهل نجران الذين وفدوا إلى الرسول يحاججونه في أقاويل باطلة ولغرض التكثيف

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص324.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص242.

الدلالي جيء بالجمل الفعلية لأنها أنسب بمقام الفعل وهو الإتباع الباطل ليدل على الاستمرارية.

أما الأداة الشرطية (أمَّا) فهي حرف شرط وتفصيل تفيد التأكيد فجاء الغرض البلاغي في الآيات السابقة يفيد التأكيد.

أما نمط الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (أمَّا) فهي كالآتي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الربط + الجواب

أما + محذوف + الفاء + فيتبعون

أما + محذوف + الفاء + فأعذبهم

أما + محذوف + الفاء + فيوفيهم

5.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (ما)

تحققت الصورة في آيتين من سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾آية115. جاءت جملة الشرط والجواب مختلفين من حيث دلالتهما على الزمن المستقبل ومتفقين من حيث ورودهما مضارعتين. لتدل على تجدد الفعل واستمراره والعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السببي إذا فعلوا خيرا لن يعدموا ثوابه.

وقد خضعت هذه الآية في ترتيب عناصرها إلى الشكل التالي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الرابط + الجواب

ما + تفعلوا + الفاء + لن يكفروه

من خصائص التعبير القرآني عدم الاقتصار على ائتلاف طرفي الشرط والجواب فقد وردا متغايرين مختلفين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾آية91. تم وجه المغايرة في الآية هنا بمجيء جملة الشرط مضارعة بينما وقعت جملة جواب الشرط جملة اسمية. وقد ربطت فاء الجزاء طرفي الجملة الشرطية لتعلق الشرط بجزائه. حيث جاء فعل الشرط فعل مضارع ليدل على

الاستمرار والتجدد وجاء جواب الشرط جملة اسمية لتفيد الثبوت والرسوخ ولتأكيد الجواب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾آية91.

وقد خضعت هذه الآية في ترتيب عناصرها إلى الشكل التالي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الرابط + الجواب

ما + تفعلوا + الفاء + جملة اسمية (أن الله به عليم)

6.4.3 الجملة الشرطية المتضمنة الأداة (إذا)

من الآيات التي اعتمدت على الأداة (إذا) أربع آيات وسنكتفي بذكر بعض الأمثلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾آية19. الناظر في ترتيب عناصر هذه الجملة الشرطية يجد أنها تضمنت أداة الشرط (إذا) وهي ظرف زمان متضمن معنى الشرط أما جملة الشرط فقد جاءت جملة ماضية لأن خداع الكافرين للمسلمين ثابت وكذلك حقدهم على المسلمين شيء لا نقاش فيه، ولهذا فإن (إذا) لما كانت في المحققة غلب لفظ الماضي معها لكونه أدل على المعنى، وبالتالي يكون نظام هذه الآية كما يلي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الجواب

إذا (ظرف زمان) + لقوكم + قالوا آمنا

إذا (ظرف زمان) + خلوا + عضوا عليكم الأنامل

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾آية135. نجد طرفي الجملة الشرطية الفعل والجواب قد جاءا فعلين ماضيين لتدل على الثبات بالوقوع بالخطيئة، كذلك جاء الجواب فعل ماض ليدل على الثبات في الاستغفار حيث أدت معنى الدعاء حيث خضعت هذه الآية إلى الترتيب التالي:

جملة الشرط: أداة الشرط + الشرط + الرابط + الجواب

إذا + فعلوا + الفاء + استغفروا

5.3 الجملة الاستفهامية وصورها[1]

تنطلق دراستنا للجملة الاستفهامية على اختلاف أنماطها وصورها من رصد البناء النحوي لسورة آل عمران عن طريق إحصاء عدد جملها وتحليلها قصد تبيان قوانينها النحوية واستخلاص أنظمتها.

من خصائص التعبير القرآني في سورة آل عمران أنه يخرج بالاستفهام من مجرد الاستعلام والاستخبار إلى دلالات تمييزية يقصدها النظم القرآني. وقد بلغ عدد الجمل الاستفهامية في سورة آل عمران ثلاث وعشرين جملة توزعت حسب الأغراض البلاغية للآيات كما يلي:

1.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى الإنكار

ورد معنى الإنكار في سورة آل عمران في سبعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾آية70. نلاحظ في هذا التركيب الاستفهامي ورود اسم الاستفهام "ما" المتضمن لمعنى إنكار الكفر من قبل أهل الكتاب واليهود مع وجود المعجزات الدالة على وحدانية الله تعالى حيث قال لهم "وأنتم تشهدون".

المميز لهذا التركيب اللغوي مجيء الجملة الاستفهامية بعد أداة المنادى كما أنها دخل على جملة فعلية متضمنة معنى الإنكار ولقد اختير الاستفهام الإنكاري لمناسبته لحال المشركين الذين كفروا مع وجود المعجزات الدالة على وحدانية الله وعليه يكون نمط الجملة ونسقها الإنكاري على النحو التالي:

أداة الاستفهام (ما) + فعل مضارع + فاعله + مفعوله + متممات الجملة.

كذلك في قول تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. تتميز البنية اللغوية لهذا التركيب الاستفهامي بدخول الهمزة على الجملة الاستفهامية وقد أفادت الهمزة معنى الإنكار والنفي فالمستفهم عنه في هذه الآية إنكار أمر الرسول (ص) بأمر الناس بالكفر بأن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا حيث نزلت هذه السورة "بسبب القوم الذين

---

(1) انظر: النحوي، شرح المفصل، المجلد الثاني، ج8، ص150؛ انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص93، 94، 108؛ انظر: الأنصاري، مغني اللبيب، ص5-13.

قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم، أتريد أن نعبدك فأخبرهم الله جل ثناءه أنه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه وينهى أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا"[1].

ولهذا الغرض استخدم الاستفهام الإنكاري الممزوج بالنفي قصد إنكار لما كانوا يعتقدون من طلب الرسول لهم بعبادته كذلك مما أكد الإنكار الظرف (بعد) وبالتالي يكون نظام الجملة في الاستفهام الإنكاري كما يلي:

أداة الاستفهام (الهمزة) + فعل مضارع + فاعله + مفعوله + جار ومجرور + ظرف.

2.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التقرير

من المقاصد الدّلالية الاستفهامية في سورة آل عمران التقرير "وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده"[2].

ورد الاستفهام التقرير في ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾آية15. نلاحظ من خلال الآية أنها تضمنت أداة الاستفهام "الهمزة" الدالة على التقرير فجاء الاستفهام ليقرَّ وليثبت لما فُهم من قبل من أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا بأن لهم جنات وأنهار خالدين فيها.

ونظام الجملة في هذا الاستفهام التقريري كما يلي:

أداة الاستفهام التقريري (الهمزة) + فعل مضارع + مفعوله + فاعله (ضمير مستتر).

---

(1) الطبري، تفسير الطبري، ج3، ص327.

(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص331؛ انظر: بدوي، من بلاغة القرآن، ص164.

3.5.3 الاستفهام المتضمن معنى التنبيه

ومن أمثلة غرض التنبيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ﴾آية20.

ورد الاستفهام التقريري في هذا النص لغرض بلاغي وهو التنبيه، قصد حمل المخاطب على الالتفات إلى اليهود الذين أرادوا الاحتكام بكتاب الله في حد الزنى "ذلك أنهم أنكروا آية الرجم من التوراة وسألوا رسول الله صلى اله عليه وسلم عن حد المحصّن إذا زنا فحكم بالرجم فقالوا، جرت يا محمد فقال بيني وبينكم التوراة. فعندما قرأ ابن صوريا الأعور التوراة أتى على آية الرجم فسترها بكفه فقام ابن سلام فرفع كفه عنها وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود فغضب اليهود وانصرفوا"[1].

ويندرج هذا النوع من الاستفهام المراد به الإنشاء لأن التنبيه من أقسام الأمر يقول أحمد بدوي: "وقد يكون الاستفهام مثارا لتنبيه المخاطب على أمر يغفل عنه،.... وفي إيراد هذه المعاني بأسلوب الاستفهام تشويق وإثارة للتفكير كي يهتدي إلى معرفة نية هؤلاء القوم المعرضون عن كتاب الله"[2].

وقد خضع نظام الجملة الاستفهامية في ترتيب عناصره إلى الشكل التالي:

أداة الاستفهام (الهمزة) + أداة نفي (لم) + فعل مضارع مجزوم + فاعله + جار ومجرور

4.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التعجب

وقد ورد هذا المعنى في أربعة مواطن في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾آية37.

فعندما يكون إيجاد رزق عند مريم وهي في المحراب وخاصة إيجاد فاكهة الصيف بالشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف وهذا النوع من الرزق من الأمور التي

---

(1) الأندلسي، أبي محمد عبدالحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب الله العزيز، تعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي صادق العناتي، طبع على نفقة صاحب السمو لشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، ج3، 1989م، ط1، ص35.

(2) بدوي، من بلاغة القرآن، ص54.

يتعجب منها زكريا، فقد جيء بالهمزة المفيدة للاستفهام التعجبي لمناسبتها لمقام الآية، فكان الغرض من هذا الاستفهام هو بيان تعجب زكريا من إيجاد الطعام وخاصة في غير موسمه. فجاء النظام المميز لهذا الاستفهام على النحو الآتي:

اسم الاستفهام (أنَّى) مفعول فيه + جار ومجرور + اسم إشارة + فعل ماضٍ + فاعله.

كذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ آية40.

جاء الغرض من الاستفهام في هذه الآية لغرض التعجب، ولعل مكمن التعجب في هذا التركيب استغراب زكريا من أن يرزق غلاماً وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر، حيث كان يبلغ "التسعين من العمر وقيل ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته قي ثمان وتسعين سنة"[1] لكن الله تعالى قادر على إيجاد الولد من الشيخ الكبير والمرأة العاقر لذلك جاء النظام في الآية على النحو الآتي:

اسم الاستفهام (أتى) + فعل مضارع (تام) + جار ومجرور + فاعله (غلام) + ملحقات الجملة.

5.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى الأمر

انفردت سورة آل عمران بآية واحدة متضمنة لمعنى الأمر وقد تحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ آية20.

وقد اختلف المفسرون في هذا الاستفهام وانفرد القرطبي والطبري باعتباره متضمنا لمعنى الأمر وهو الذي نختاره لأن سياق الآية يدل على ذلك، لأن الإسلام قد أظهر للكفار الأدلة والبراهين على صحته لذلك يتوجب عليهم الالتزام بما جاء به، فجاء نظام الآية كما يلي:

أداة الاستفهام (الهمزة) + فعل ماض + فاعله + جملة شرطية (فعل + جواب).

---

(1) الشوكاني، تفسير فتح القدير، ج1، ص510.

6.5.3 الاستفهام المتضمن لمعنى التهويل والتهديد

نجد هذا الغرض في آية واحدة في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾آية25. نلاحظ دخول كيف على الجملة الاستفهامية ذلك لغرض التهويل والتهديد لمن ضلّوا في الحياة الدنيا وحرّفوا ما في الكتاب وأصابهم الغرور لذلك يتوعد لهم الله عز وجل في عقاب أليم، أما النظام الغالب على هذه الآية فهو:

حرف استئناف (اسم استفهام كيف + ظرف (إذا) + فعل + فاعله + مفعوله.

6.3 الخلاصة

1. تتميز الجملة الاسمية المثبتة البسيطة في سورة آل عمران بالتزامها النظام العادي لترتيب الجملة فالمسند إليه مقدم على المسند ولم يتغير هذا النظام إلا نادرا.
2. تعددت وسائل توكيد الجملة الاسمية المثبتة في سورة آل عمران فنجد التوكيد بمؤكد واحد والتوكيد بمؤكدين.
3. خضعت الجمل الفعلية الماضية المثبتة البسيطة لنظام الجملة العربية المعروف وهي فعل + فاعل + مفعول به + متممات الجملة.
4. تعددت وسائل توكيد الجملة الفعلية المثبتة المنسوخة فنجد التوكيد بالمصدر والتوكيد بحرفي قد ولقد.
5. السمة الغالبة على الجمل المضارعة المثبتة البسيطة أنها تخضع في ترتيب عناصرها إلى النظام التالي: فعل + فاعل + المفعول به + متممات الجملة.
6. كثرت أدوات توكيد الجمل الفعلية المضارعية المثبتة المنسوخة فنجد التوكيد بلام التعليل والسين ولن.
7. تنوعت أدوات نفي الجمل الفعلية المضارعية البسيطة فنجد أكثرها استعمالاً الأدوات: "لا، ما".

8. تعددت الأسماء الموصولة في سورة آل عمران والكثرة الغالبة منها الاسم الموصول "الذين" والاسم الموصول "ما".
9. كثرت أدوات الجمل الشرطية في سورة آل عمران وغلب عليها استخدام "إن".
10. أقل أدوات الشرط توافرا في سورة آل عمران (إذا).
11. تعددت أدوات الاستفهام في سورة آل عمران وتنوعت أغراضها البلاغية وقد ناسبت حروف الاستفهام دلالات السورة.

الفصـــل الرابـــع

المستـــوى الدّلالـــي

إن الغرض الأسمى من دراسة المستوى الدلالي لســـورة آل عمـــران هـــو محاولة البحث عن البنية الضمنية لنظام اللغة المكون للمستويات المختلفـــة للـــنص المدروس.

وتندرج دراسة المستوى الدلالي ضمن علم الدلالة" وهو العلم. الـــذي يعنـــي بدراسة الدلالات الألسنية، وعلى الأخص، الجانب المعنوي من هـــذه الـــدلالات أي المدلول. والمدلول يدرس على ضوء هذا العلم من عدة جوانب: الجانب الأول يتمثل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يـــومئ إليهـــا أو يعبـــر عنهـــا. (المفاهيم، والعواطف، معطيات العالم الخارجي) والجانب الثاني يتمثل في العلاقات التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات عبـــر المحـــور النظمـــي، والمحـــور الاستبدالي، والجانب الثالث يتمثل في العلاقات التي تنشأ بين السّمات التـــي تتكـــون منها المدلولات"[1].

فالظاهرة اللغوية كما هو معلوم هي مزيج من جانبين، جانب مـــادي ينـــدرج ضمن مستويات التحليل الأسلوبي السابقة، المستوى الصوتي، والمستوى الصـــرفي والمستوى التركيبي، وجانب لا مادي وهو جانب المعنى المتكون نتيجة لتفاعل كـــل مستويات الظاهرة اللغوية.

والمتتبع لمسار تشكيل النص الأدبي يلحظ أنه يبدأ في التشكيل انطلاقـــاً مـــن مكونات لغوية ملموسة قابلة للضبط والإحصاء رغبة في الوصول إلى المعنى وهـــو نتيجة تفاعل الوحدات التعبيرية للنص ومن ثم " فالدليل مكـــون مـــن دال ومـــدلول. ويشكل صعيد الدّوال صعيد العبارة، ويشكل صعيد المدلولات صعيد المحتـــوى" [2]

---

(1) أبو ناصر، موريس، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربـــي المعاصـــر، ع18، 19، 1982، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص34، انظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1988، ص74.

(2) بارت، رولان، ميادين في علم الأدلة، ترجمة وتقديم محمد البكري، الـــدار البيضـــاء، المغـــرب، 1985، ص66.

وان تحدي البينة الداخلية لسور آل عمران يهدف إلى الكشف من بعض السّمات المميزة لعالم المعنى في كلّيّته.

ومهما يكن من آمر فإن اعتماد بعض الإجراءات العملية كفيل بإبراز الوحدات التعبيرية لسورة آل عمران واستخلاص العلاقات القائمة بين دوالها ومدلولاتها بغية الوصول إلى البنية الدّلاليّة التي تمثّل الشكل العام لنظام العوالم الدلالية المكونة للنص.

وان منهجنا المتّبع في دراسة النظام الكامل لمدلولات الكلمات وطرق اقترانها يندرج ضمن مبحثين هما:

1. دراسة الحقول الدلالية بغرض تقسيم العالم اللغوي لسورة آل عمران إلى أجزاء لغوية صغرى، يعني تفكيك البنية الدلالية للنص إلى أنظمة دلالية جزئية ويتم هذا العمل انطلاقاً من تقسيم السورة إلى ثلاثة أقسام: قسم الأسماء وقسم الأفعال، وقسم الصفات، ويقع استعراض أسماء السورة جملة مع توزيع كل ما يوافقه حتى تنتهي إلى جداول عامة تستخلص من تركيب معانيها المحورية عناصر فكرية افتراضية تختزل معاني النص عامة، ثم نقوم بالأمر نفسه في الأفعال ثم الصفات، مراعين دائماً دراسة هذه المكونات في مراتبها المعنوية فقط وسندرسها مبتورة عن سياقها ذلك أنّ عملنا ينصب على دراسة مواد البناء معزولة عن السياقات ولكنها مجموعة بحسب انتظامها في معاني عامة.
2. تحليل الصور البلاغية ونتناول في هذا المبحث خصائص الصور الفنية في سورة آل عمران قصد استجلاء خصائصها العامة.

1.4 دراسة الحقول الدلالية

إن النص القرآني في حقيقته " نسيج لغوي متكون من مجموعات لفظية متداخلة في سياق تعبيري واحد ولكل نص مكوناته الأساسية أي دعائمه أو ما

تنهض به بنية، وما هو جذر مشترك تلتقي فيه دلالات عدة في النص، ويخلق حقلها الذي فيه" [1] تنمو وفيه تتحرك.

ومن ثم " فإن كل نص مركزي يحتوي بالضرورة على نصوص فرعيَّة تختلف نسب وجودها فما على المحلل إذن. إلاَّ أن يبيِّن درجة صحتها ووظائفها المختلفة والعلاقات فيما بينها داخل النسيج النصي" [2] ولعلَّ مبدأ الحقول الدلالية من أكثر الطرق شيوعاً وانتشاراً في تصنيف المدلولات لأنه يعتمد على التصنيف العامي للكلمات قصد تحديد عوالمها الدلالية وقد " حظيت قضية التصنيف المدلولات بأبحاث عديدة من قبل علماء الدلالة وقد انصب بمجملها على الطريقة التي يمكن على ضوئها تصنيف المدلولات بشكل علمي يوازي تصنيف الدالات في علم الأصوات، وتعتبر طريقة تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية، الطريقة الأكثر حداثة في المعاني، فهي لا تسعى إلى تحقيق البنية الداخلية لمدلول الفونيمات وحسب وإنما إلى الكشف على بنية أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد معين من الفونيمات " [3].

وان الجرد الإحصائي للمفردات المشكلة لسورة آل عمران يبيِّن لنا أنها تتشكل من ثلاثة أقسام: قسم الأسماء وقسم الأفعال وقسم الصفات.

1.1.4 قسم الأسماء

تحتوي سورة آل عمران تقريباً على (98) اسماً موزعة على أنظمة دلالية جزئية متفاوتة النسب كما توضح ذلك الجداول التالية:

---

(1) العيد، يمنى، في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، بيروت، شباط، 1985، ص101.

(2) مفتاح، محمد، دينامية النص، تنظير وإنجاز: المركز الثقافي العربي، بيروت، حزيران، 1990، ص89.

(3) أبو ناصر، موريس، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، ص35.

الحقل 1	الحقل 2	الحقل 3	الحقل 4	الحقل 5	الحقل 6	الحقل 7	الحقل 8
الله	الفرقان	العالمين	أناس	النهار	جنات	عبد	ظلم
رب	الكتاب	السموات	الناس	الليل	المآب	النبي	فسق
الوهاب	التوراة	الأرض	أولادهم	انهار		الرسول	كذب
العزيز	الإنجيل	الملائكة					جهنم
سميع		الساعة	بنين				حساب
رحيم		الآخرة					
عليم		المصير					
		القيامة					

إذا تأملنا في معاني المفردات المشكلة لهذه الحقول الدلالية فإننا نلاحظ من الجداول السابقة أن تركيب المعاني المحورية لسورة آل عمران يرتكز على عناصر فكرية يمكن أن تندرج ضمن عالمين عالم الإيمان والتوحيد وعالم الجحود والإنكار ويشكل كل عالم من هذين العالمين موضوعاً رئيسياً ونقصد بالموضوع الرئيسي: "الموضوع الذي تتردد مفردات عائلة اللغوية بشكل يفوق مفردات العائلات اللغوية الأخرى هذا على مستوى الشكلي للبحث..... فأما على المستوى البنيوي فإن الموضوع الرئيسي هو الذي يفرز بقية الموضوعات ويولدها بشكل آلي"[1] ومن هنا فأن البناء العام لسورة آل عمران أن يتضمن غرضاً مشتركاً يتشكل من بعض العناصر المفردة لأنه" خلال السيرورة الفنية تتمازج الجمل المفردة فيما بينها حسب معانيها، محققة بذلك بناءً محدداً، تتواجد فيه متحدة بواسطة فكرة أو عرض مشترك. أن دلالات العناصر المفردة للعمل تشكل وحدة هذا الغرض[2].

---

(1) حسن، عبدالكريم، الموضوعية البنيوية، دراسة في شعر السياب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص43.

(2) تودوف، تزفيتان، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1982، ص175.

وقد تفرع عالم الإيمان إلى عدد من الحقول الدلالية:

1. عالم الذات الإلهية:

المفردة	عدد ثوابتها
الله	170
رب	29
العزيز	8
عليم	8
سميع	5
غفور	3
حليم	3
الحكيم	3
الوهاب	2
رحيم	2

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن الاسم المقترن بأكبر نسبة من التواتر هو كلمة (الله) جل وعلا. إذ وردت في سورة آل عمران مئة وسبعين مرة بهذا الاسم وبأسماء من عائلة لغوية واحدة منها "رب" إذ وردت تسعاً وعشرين مرة واسم العزيز، والعليم ورد ثلاث مرات، والسميع ورد خمس مرات، والحكيم ورد ثلاث مرات واسم الوهاب والرحيم مرتين.

إنه من الطبيعي أن يرد لفظ "الله" بهذه النسبة العالية، لأن المحور الأساسي الذي يستقطب كل الموضوعات الأخرى للسورة، فهو محور العقيدة الدينية والمتأمل في الصراع القائم بين كفار أهل نجران والرسول صلى الله عليه وسلم، ويجدر أنَّه يرتكز أساسا على الشرك بالله والاعتراض على رسوله وعلى رسالته، ومما يعزز صحة هذا التواتر براعة استهلال سورة آل عمران وروعة مطلعها بعد آية (آلم) فجاءت الآية مباشرة بقول حازم بإثبات الألوهية لله تعالى وحده ذلك في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية2. ووصفه بصفات وهي (الحي الذي لا يموت) والقيوم القائم على تدبير كل شيء عز وجل.

كذلك من الملاحظ في اسم (رب) قد ورد مقترناً في أغلب الآيات بضمير المتكلم ولعل هذا الإسناد يومئ إلى معنى التربية بكل ما فيها من ألفة، والناظر في المادة اللغوية للكلمة (رب) يجد بأنها تعبِّر بدلالتها اللغوية على المعنى الجوهري الذي أراده التعبير القرآني من تواتره تسع وعشرين مرة، يقول أبو حاتم الرازي شارحاً كلمة الرب" والرب في كلام العرب هو المالك، يقال هذا رب الدار ورب الضيعة ورب المملوك، ويقال ذلك في كل مالك لشيء.... ولا يقال للمخلوق هذا الرب معرفاً بالألف واللّام كما يقال لله عز وجل، بل يعرف بالإضافة، فيقال رب الدار ورب البيت وغير ذلك، لأنه لا يملك ذلك الشيء فإذا قيل الرب. معرفاً بالألف واللّام دلت الألف واللّام على العموم واستغني بذلك عن الإضافة لأنه عز وجل رب كل شيء ومالكه، فلا يضاف إلى شيء فيختص به دون غيره" [1].

فالقاسم المشترك بين هذه الأسماء (الله، الرب، الوهاب، العزيز، الحكيم، السميع، الغفور، الحليم، الرحيم، العليم) هو انفراد الله تعالى بها دون مشارك له واختصاصه بها عز وجل فهو المنفرد بالألوهية، ولهذا السبب كانت بداية السورة تؤكد دلالة الانفراد لله تعالى في قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ آية2، ثم جاءت الأوصاف له لتدل على الجلال له والكمال وحده.

2. عالم دلائل القدرة الإلهية:

يتشكل هذا العالم من مجموعة الحقول الدلالية وهي الحقل الدلالي الثالث والرابع والخامس والسادس لأن دراسة الموضوع الرئيسي يقضي بالضرورة إلى دراسة الموضوعات الفرعية التي تنبثق عنه فعالم دلائل القدرة الإلهية يتضمن مجموعة من الحقول الدلالية الفرعية مثل الحقل الدلالي الثالث والخامس يستقطب

---

(1) الرازي، أبو حاتم، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، عارضه بأصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمذاني الرازي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط2، 1958، ج2، ص45.

مجال المخلوقات الكونية والحقل الرابع يتمحور حول مجال القرابة البشرية وغيرها من الحقول الدلالية الأخرى.

وانطلاقاً من الجدول السابق المتضمن لقسم الأسماء نلاحظ أن مفردة "السموات" قد وردت أربع مرات مقترنة في اغلب السياقات باسم الأرض المتواتر أربع مرات وقد وردت صيغة السموات بصيغة الجمع في أربعة مواضع، وبصيغة المفردة مرة واحدة، وهي من أعظم مخلوقات الله تعالى الدالة على ملكيته المطلقة لأن الدليل على انفراد الله هو امتلاكه للسموات والأرض وما فيهن من مخلوقات، ولعلَّ سيطرة مفردة السموات على بقية المفردات الأخرى، قد يعزى إلى الطاقة الإيحائية المحملة بها هذه اللفظة، فالسماء تشير إلى دلالات العلو والرفعة فهي منشأ التنزيل وعالم الطهر الروحي.

وإذا أمعنا النظر في العناصر المكونة لعالم القدرة الإلهية نجد بعض العلاقات القائمة بين مفرداته لأن معنى الكلمة هو "محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي"[1].

ومن ثم فإن الوصف الدلالي يقترح، بالتدرج تحليلا للظواهر المعزولة بشكل تلاحقي[2]. ومن العلاقات الواضحة بين أسماء عالم دلائل القدرة الإلهية، علاقة التقابل الضدِّي بين الإنس والجن، في كلمة العالمين وبين السموات والأرض، والليل والنهار، كما نجد نوعا آخر من العلاقات القائمة على التقابل التكاملي بين الأنعام، وأناس، أن الذي يحدد طبيعة هذه المفردات الواردة في هذه العائلات اللغوية هو علاقتها المختلفة فيما بينها، والمبدأ الذي يربط هذه الأسماء ويعترف بينها هو مبدأ الترابط أو اللاترابط". لأن كثيراً من التعابير العربية وتبعا لتلك الآيات القرآنية، يحكمها مبدأ الترابط ومعناه أن بعض الكلمات ترتبط بأخرى أو تدعوها، وهكذا فإنه غالبا ما تأتي الصلاة مقرونة بالزكاة، والفحشاء بالمنكر... ولكن نذكر الصلاة إلى جانب الخمر شيء لا يقبله العرف اللغوي، فالصلاة يدعو حقلها الدلالي مجموعة من

---

(1) عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص98.

(2) إينو، آن، مراهنات دراسة الدلالة اللغوية، ترجمة: أوديب بتيت وخليل أحمد، تقديم: أ. جوليان كريماس وأسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1988، ص51.

الألفاظ، ويرفض أخرى ومن ثم فإن ممارستها أثناء السكر تعني عملاً غير مقبول أي محرماً[1] .

3. عالم الكتب السماوية:

وهو العالم المتكون من الحقل الدلالي الثاني كما يشير إلى ذلك الجدول السابق المتضمن لقسم الأسماء وقد توزعت مفرداً كما يلي:

المفردة	عدد تواترها
الفرقان	1
الكتاب	4
التوراة	4
انجيل	4
آيات	7

تبدو عناصر عالم الكتب قائمة على علاقة الترادف حيث وردت بعض أسماء القرآن مثل: الفرقان، الكتاب،.... فهي أسماء للقرآن الكريم وكلها تصب في عائلة لغوية واحدة، وهو الكتاب المنزل على الرسول عليه السلام.

نجد مفردة (الكتاب) التي وردت أربعة مرات، إذ نعتقد أنَّها الكلمة المفتاح وذلك على أنها جاءت مرتين مرة جاءت للتركيز عليها وتسليط الضوء عليها إذ جاءت في بداية الحديث عن العظمة الإلهية واثبات الألوهية لله تعالى. وأن هذا الكتاب انزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام للتأكيد والإقرار ليبلغه للناس أجمعين كما هو الذي نزل التوراة والإنجيل على أنبياءه من قبل ذلك في قوله تعالى:﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾آية3، قبل نزول الكتاب بقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾آية4، وهذا دليل قاطع على صدق سيدنا محمد وعلى صدق الرسالة المحمدية فالذي انزل على موسى وعيسى هو نفسه الذي انزل على محمد عليه السلام، فكانت الكتب السَّماوية كلها تحث على الفضيلة وتنهى عن الرذيلة، وما دام القرآن أخر

---

(1) مفتاح، محمد، دينامية النص، ص205.

الكتب السَّماوية الذي فيه صلاح الناس وفلاحهم كذلك لأنه نزل على خاتم الأنبيـاء والمرسلين محمد عليه السلام.

كذلك نجد تكرار مفردة الكتاب في سورة آل عمران لسبب التأكيد والإقـرار لأجل محاججة النصارى الذين انكروا هذا الكتاب ومن جاء به فكانت هذه المفـردة بمثابة المنبه لهؤلاء المنكرين لله وكتابه ولرسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن أهم الفروق اللغوية لا سيما الفـرق لفـظ (الفرقـان) يقـول الراغـب الأصفهاني في هذا الاسم." الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبـاراً بالانشـقاق والفلق يقال اعتباراً بالانفصال وفرقت بين الشيئيين فصلت بينهما سواء كـان ذلـك يدركه البصر.... أو بفصل تدركه البصيرة.... والفرقان أبلـغ مـن الفـرق لأنـه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل.... والفرقان كلام الله تعالى لفرقه بين الحـق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال الصالح في الأعمـال وذلـك فـي القرآن والتوراة والإنجيل" [1].

4. عالم عباد الرحمن:

المفردة	عدد تواترها
الرسول	16
النبي	4
الملائكة	6
الألباب	3

يكشف لنا الجدول السابق المكون لقسم الأسماء من غلبة مفـردة "الرسـول" عددياً، فقد وردت مفردة "الرسول" ست عشر مرة، وما يفسر نسبة تواترهـا بهـذا العدد هو الأهمية المعطاة له عليه السلام باعتباره مبلغ الرسالة الجديدة المسندة إليـه من جهة، ومقام التشريف الذي خص به من عند الله من جهة أخرى.

والدلالة اللغوية لمفردة الرسول هي الانبعاث غير أنَّها وردت في سـورة آل عمران بمعنى المتحمل للرسالة السماوية وفي هذا يقول الراغب الأصفهاني: "اصل

---

(1) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص179.

الرسل الانبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسله سهلة السّير وإبل مراسيل، منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه الرفق فقيل على رسلك إذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول"[1].

كما يمكن أن نفسر كيفية استخدام السورة لهذه المفردة "الرسول" بأنه عليه الصلاة والسلام هو المجسد لعالم الإيمان بالله تعالى رداً على من كذبوه وكذبوا رسالته، فهو نموذج بشري فاضل اقتدى به أولي الألباب، فهم أتباعه وأصحابه، كما نجد بعض المفردات القريبة من مفردة "الرسول" حيث أن العلاقة المميزة لهذه المفردات هي علاقة التناظر نحو عبده، المرسلين، النبي.

وقريب من مجال الإرسال نجد كلمة "الملائكة" المتواترة ست مرات في سورة آل عمران وهي من مخلوقات الله الكونية حيث جاء في كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية " قال أبو عبيدة أصله مهموز من المألكة والملأكة، وهي الرسالة.... الملائكة والرسل، وقال غيره وكأن الملائكة مأخوذة من المألكة وهي الرسالة، لأن الله عز وجل أرسل الملائكة إلى الأنبياء بالرسالة ويكون معنى الملائكة، الرسل، وإنما سموا ملائكة لإرسال الله إياهم إلى الأنبياء بالرسالة.... وسمعت بعض أهل اللغة يقول: سموا ملائكة لأن الله خلقهم، ووكل لكل ملك منهم بأمر من الأمور، واستحفظه واسترعاه، وجعل تدبيره إليه ومكنه منه فسمّي ملكا"[2].

فالدلالة التي تضمنتها كلمة "الملائكة" في سورة آل عمران هي هذا العالم الغيبي اللطيف، يعني هذه الأرواح السّماوية، ذلك دلالة على قدرة الله تعالى.

5. عالم الإنكار والجحود:

إلى جانب عالم الإيمان بالله وبرسوله نجد عالم الإنكار والجحود المتكون من أسماء الحقل الدلالي الثامن.

---

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص195.

(2) الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، ج2، ص163-166.

المفردة	عدد تواترها
ظلم	6
فسق	1
كذب	3
عذاب	5
جهنم	3
حساب	2

إذا أمعنا النظر في هذه المجموعة اللفظية نجد أكثر الأسماء ورودا وانتشارا في هذا الحقل اسم "الظلم" المتواتر ست مرات في سورة آل عمران وأغلب مواقع وروده يرد اسما للكفار بلفظ "الظالمون" ولفظة الظلم ترد في سورة آل عمران بمعنى الاعتداء بغير حق بقول أو فعل على الله تعالى، أو على رسوله أو ظلم لأنفسهم بكفرهم يقول الراغب الأصفهاني: "الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات... ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق كما يعبر عن أضدادها... والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه... والظالم في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة"[1]. فكلمة "ظلم" من حيث دلالتها اللغوية تعني وضع الشيء في غير موضعه، ومن حيث دلالتها الإسلامية تدل على الشرك والفسق، وأغلب الظن أن الشرك بالله وتكذيب رسوله هو قمة مجاوزة الحق والاعتداء على شرع الله، والملاحظ على الأسماء الواردة في الحقل المتضمن لكلمة "ظلم" أنها قامت على علاقة القرابة المعنوية وذلك ما نجده في ألفاظ "كذب، فسق...".

ومن خصائص التعبير القرآني في سورة آل عمران ذكر الحيز المكاني لجهنم بحيث تواترت لفظة (مأوى) مرة واحدة "المأوى مصدر أوى يأوي أويا ومأوى... ومأوى اسم للمكان الذي يأوى إليه"[2] الكفار بجهنم وقد ارتكزت بعض

---

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج2، ص315.

(2) نفس المصدر السابق، ج2، ص307.

الأسماء الواردة في عالم التكذيب والضلال على علاقة الترادف وذلك ما نلاحظه من ألفاظ مثل "جهنم، نار، سوء، هوى، الشيطان، عدو" كما نجد علاقة الترادف في ألفاظ مثل "ذنوب، آثام، سيئات، زيغ، عوج".

ومن الكلمات التي كان لها حظ الشيوع والتكرار في قسم الأسماء لفظ (جنات) المتواترة ثلاث مرات في الحقل الدلالي السادس وهي تعني النعيم الذي أعد للمؤمنين "الجنة في كلام العرب البستان والنخيل قال: إنما سميت الجنة التي هي الثواب الجنة، لأنه ثواب ادخره الله لأوليائه وأهل طاعته وهو مستور عليهم وهو مأخوذ من اجنَّ الشيء إذا ستره... فكأن الجنة مأخوذة من الاجتنان والستر، قال وسمي البستان أيضا جنة، لأنه قد أحيط به وستر ما فيه عن الأعين"[1] فالدلالة اللغوية لكلمة "الجنة هي البستان الذي فيه شجر أما الدلالة الإسلامية فهي تعني مثوى العاملين، وقد ورد مُترادفها في سورة آل عمران "حسن المآب".

2.1.4 قسم الأفعال

الحقل 1	الحقل 2	الحقل 3	الحقل 4	الحقل 5	الحقل 6	الحقل 7
أخذهم	يصوركم	نزّل	يأمرون	يكتمون	حاجوك	لا يكلمهم
ستغلبون	خلق	أنزل	ينهون	كذبوك	يقتلون	لا ينظر إليهم
تحشرون	يذل	تنزّل	استغفروا	يعتدون	مكروا	لا يزكيهم
يعذبهم	تولج	نتلوه	ينفقون	يظلمون	عصوا	لا يخفف عنهم
	تخرج		جاهدوا	يلوون	عضوا	
	يشاء		تابوا	تكفرون	يخفون	
	يبعث			يضلونكم	يبخلون	
	يحيي			معرضون		
	يميت			يفترون		

(1) الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، ج2، ص196-197.

الحقل الأول: الوعيد والتهديد.

الحقل الثاني: دلائل القدرة.

الحقل الثالث: الكتب السماوية.

الحقل الرابع: عالم الإيمان.

الحقل الخامس: الإنكار والجحود.

الحقل السادس: تجاوز الحد في الكفر.

الحقل السابع: مصير الكفار يوم القيامة.

1. عالم الوعيد والتهديد:

المفردة	عدد تواترها
أخذهم	3
ستغلبون	1
تحشرون	1
يعذبهم	2

يؤكد لنا الجدول السابق أن الأفعال ذات نسبة التواتر العالية ترتبط بالذات الإلهية فقد تجمعت ضمن وحدات معنوية أساسية إذ "تستند العائلة اللغوية إلى ثلاثة مبادئ: الأول هو الاشتقاق والثاني هو الترادف والثالث هو القرابة المعنوية"[1]. فالسمة الغالبة على الحقل الدلالي الأول أنها وردت في سياق العذاب والتهديد والوعيد وقد قامت العلاقة بينهما على القرابة المعنوية حيث تشير معظمها إلى دلالة الوعيد والتهديد.

(1) حسن، عبدالكريم، الموضوعية البنيوية في شعر السياب، ص30.

3. عالم دلائل القدرة الإلهية:

المفردة	عدد تواترها
يصوركم	1
خلق	3
يذل	1
تولج	2
تخرج	2
يشاء	10
يبعث	1
يحيي	1
يميت	1

أما الأفعال المشكلة لعالم دلائل القدرة الإلهية فقد تمحورت ضمن الحقل الدلالي الثاني المستقطب لدلالة الخلق والقدرة مثل: "يصوركم، خلق، يذل، تولج، تخرج، يشاء، يبعث، يحيي، يميت" كما نلاحظ من خلال الجدول السابق المتضمن لقسم الأفعال سيطرة الفعل "يشاء" للدلالة على ثبوت الفعل في الماضي واستمراره بلا توقف، وقد ارتبط هذا الفعل في أغلب الآيات بموضوع دلائل القدرة الإلهية للرد على الكفار، وهو أليق بمقام إبراز أفعال الله تعالى في عزه ومنّه على الخلق، ومن ثمَّ نفهم سرَّ غياب فاعل هذا الفعل في كل الآيات المتضمنة للفعل "يشاء" إذ الفعل بدلالته يدل على قدرة الله ووحدانيته فهو الوحيد المتصرف في كل الأمور من الأفعال المتعلقة بالله تعالى الفعل "خلق" المتواتر ثلاث مرات فدلالة هذا الفعل الدقة في الخلق، يقول ابن منظور في معنى هذا اللفظ "هو ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدعه على غير مثال يسبق إليه...." [1] كما قامت بعض الأفعال على علاقة الترادف وذلك يبيّن الفعلين "بعث، يحيي".

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص85.

3. عالم الكتب السماوية:

نجد الأفعال المكونة لعالم الكتب السماوية فقد توزعت على الحقل الدلالي الثالث بحيث احتل الفعل "نزّل" مكانا بارزا في عالم الكتب السماوية إذ ورد هذا الفعل تسع مرات، وهو يُعدُّ الفعل الجوهري لهذا القطب، ثم حذف فاعل الفعل أي التزمت سورة آل عمران بفعل التنزيل "نزّل" وحذف المنزل لدلالة ذكر الكتب السماوية عليه، وهو أعظم خير نزل على البشرية، فالصورة العامة للفعل بوروده بصيغة "نزّل، أنزل، تنزّل..." ومن الأفعال القريبة منه نجد الأفعال مثل "نتلوه،" لتدل على الكتب السماوية.

4. عالم الإيمان:

بعد عالم الكتب السَّماوية نجد عالم الإيمان المتمثل بالمؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسوله وقد توزعت مفرداته كما يلي:

المفردة	عدد تواترها
يأمرون	3
ينهون	3
تابوا	1
استغفروا	1
ينفقون	1
جاهدوا	1

جاء هذا الحقل للحديث عن الأعمال الحسنة التي تقيد بها المسلمين ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾آية104. فقد ارتبطت معظم الأفعال الواردة بالسلوك العملي للذين صلح دينهم ومن هذه الأفعال: "لا نشرك، لم يصرُّوا، تابوا، استغفروا، لم يمسسني" إذ أن بعض الأفعال سبقت بحروف جزم ونفي، للدلالة على ترك المعاصي والعناد فيها.

5. عالم الجحود والإنكار:

وفي مقابل عالم الإيمان نجد عالم الجحود والإنكار وقد توزعت الأفعال بعالم الجحود والإنكار كما يلي:

المفردة	عدد تواترها
يكتمون	1
كذبوك	2
يعتدون	1
يظلمون	6
يلوون	1
تلبسون	1
تكفرون	18
يضلونكم	2
معرضون	1
يفترون	1

يتمحور هذا الحقل الدلالي حول مجال الكفر حيث نلاحظ من خلال الجدول السابق أن الفعل "كفر" المتواتر ثماني عشرة مرة وهو الفعل الجوهري والمحوري لعالم الإنكار وهو المستقطب للأفعال الأخرى، بحيث أنه عمدة الجحود والإنكار يقول الراغب الأصفهاني موضحا دلالة الكفر "الكفر في اللغة ستر الشيء وهي جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة"[1] فقد ارتبطت معظم الأفعال الواردة بالفعل كفر، فكل الأفعال متقاربة لغويا لتشكل لناظرنا صورة الجاحد لشريعة الله تعالى.

6. تجاوز الحد في الكفر:

وبعد الحقل الدلالي الخامس المستقطب لدلالة الكفر نجد الحقل الدلالي السادس الذي يتمحور حول دلالة تجاوز الحد في الكفر وقد توزعت أفعاله كما يلي:

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج2، ص433.

المفردة	عدد تواترها
حاجوك	5
يقتلون	4
ومكروا	2
عصوا	1
عضوا	1
انقلبتم	1
يخفون	1
استزلهم	1

يبين لنا هذا الجدول أن الدلالة المركزية لهذا الحقل هي دلالة المحاججة من قبل المشركين لرسول الله، والفعل المستقطب لهذه الدلالة هو (تحاجون)، إذ يقول الراغب الأصفهاني "والحجة الدلالة المبينة للحجة... فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة..." [1] إذ تدل هذه الكلمة على تعنت المشركين بقبول الحق فيمكروا ويخفون الحق في صدروهم ويعضون أناملهم غيضا ويبخلون بما آتاهم الله ويطلبون المعجزات الخارقة هذه المفردات القائمة على مبدأ الترادف كلها تبين مدى تجاوز الكفار في ظلمهم.

وآخر الحقول الدلالية المشكّلة لعالم الجحود والإنكار هو الحقل الدلالي المستقطب لمجال حساب الله تعالى يوم القيامة على ما فعلوا والمتمثلة في الأفعال التالية:

المفردة	عدد تواترها
لا يكلمهم	1
لا ينظر	1
لا يزكيهم	1
لا يخفف	1

(1) الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن، ج1، ص205.

تتضمن هذه العائلة اللغوية صيغ النفي التي تستخدم حـــرف (لا) فـــالملاحظ على هذه الأفعال أنها سبقت بحرف النفي المجسد لمعنى الاســـتهانة بهـــم والســـخط عليهم فدلالة هذه الأفعال بيان العقاب للذين أشركوا بالله تعالى:

3.1.4 قسم الصفات

كثيرة هي الصفات في سورة آل عمران وهي على كثرتها مستعملة في عدد كبير من الحقول الدلالية السابقة وفيما يلي جدولا يتضمن الصـــفات الـــواردة فـــي النص:

الحقل 1	الحقل 2	الحقل 3	الحقل 4
عليم	الذكر	كثيرا	حنيفا
عزيز	حكيم	أليم	أجر
رحيم	الحق	الحريق	ثواب
غفور			حسن
رحيم			
سميع			
بصير			
حليم			
وكيل			
مالك			
قدير			
رؤوف			
شهيد			
محيط			
خبير			

1. عالم الذات الإلهية:

إن الصفات التي ترتبط بالذات الإلهية العلية كثيرة جداً، إذ بلغ عددها كما يشير إليه الجدول السابق إحدى وخمسون صفة وذلك كما هو واضح في الجدول التالي:

الصفة	عدد التواتر	الصفة	عدد التواتر	الصفة	عدد التواتر	الصفة	عدد التواتر
عليم	8	سميع	4	حليم	1	رؤوف	1
عزيز	3	حكيم	2	وكيل	1	وهاب	1
رحيم	3	بصير	2	مالك	1	حي	1
غفور	3	عظيم	2	قدير	1	قيوم	1
						شهيد	1
						محيط	1
						خبير	1

من أكثر الصفات تمثيلا للذات الإلهية نجد صفة عليم "ذلك في قوله تعالى:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آية 34.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ آية 35.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ آية 75.

نجد أن التعبير القرآني استخدم صفة "العليم" وهي صفة مناسبة للذات الإلهية في سياق الآيات، إذ هو فقط العالم بأسرار السموات والأرض ويعلم ما في الصدور من مضمرات فهذه الصفة دليل على وحدانية الله عز وجل.

كذلك من صفات الله "السميع" فقد وردت في أربعة مواضع في سورة آل عمران لتدل كذلك على وحدانية الله وقدرته على معرفة أقوال البشرية من خير أو شر فقد وصف الله تعالى نفسه بهاتين الصفتين "السميع" و"العليم" بشكل متتابع في ثلاث آيات من حيث ذكرت صفة السميع قبل صفة العليم ذلك لدلالة "أن التغير الذي أحدثه المعرض بهم متعلق بأقوالهم وهو دعوتهم آلهة غير الله فهذه الصفات جاءت

من ناحية أخرى لقصد التهديد الإنذار لأنهم مهما قالوا أو فعلوا فلا مفرّ؛ لأنّ هنالك من يسمعهم ويعلم ما يفعلون فمن يعلم حقيقة هذه الصفات يكن دائما حذرا من أقواله وأفعاله خوفا من الله تعالى.

وقريب من صفتي "السميع، العليم" نجد صفتي "غفور، رحيم" وذلك في قوله تعالى:

﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية 31.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية 89.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية 29.

نجد أن العالم بأسرار السموات والأرض يستدعي المغفرة والرحمة لخلقه ترغيبا لهم في الإقلاع عن المعاصي والذنوب لأجل إتباع دين الحق ليغفر لهم ويرحمهم، ويتجلّى اختصاص الله تعالى بصفتي المغفرة والرحمة، فقد نزلت هذه الآيات في وفد نجران الذين قدموا إلى الرسول لتكذيبه ومحاججته بالبهتان والباطل، ولو اتبعوا الرسول عليه السلام لوجدوا الله غفورا رحيما، المتأمل في المادة اللغوية لصفة "غفور" يجد أنها تناسب دلالة الستر يقول ابن منظور "غفر، الغفور، الغفار" جل ثناؤه وهما من أبنية المبالغة ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم"[1] ومن هنا يتجلى لنا بوضوح أن الدلالة اللغوية لصفة "غفور" هي الستر والتغطية، وهي صفة لازمة لله تعالى.

وفي مقابل صفة المغفرة نجد صفة الرحمة، لأن هذه الصفة دليل آخر على وحدانية الله من جهة ومن جهة أخرى دليل على إحسان الله للناس وفضله عليهم بأن يستر ذنوبهم أولا ويلطف بحالهم برقة وعطف يقول الألوسي "ذكر المغفرة والرحمة لأجل أن يعرفوا أن هذه الذنوب العظيمة المتجاوزة عن الحد مغفورة إن تابوا وأن رحمته واصلة إليهم بعدها وأن لا ييأسوا من رحمته تعالى بما صدر منهم مع إصرارهم على ما هم عليه من المعاداة والمخاصمة الشديدة"[2].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص25.

(2) الألوسي، روح المعاني، ج3، ص136-137.

وقريب من صفتي "غفور، رحيم" نجد صفتي "الحي، القيوم" رغم ورودها مرة واحدة غير أنها تضمنت دلالات عميقة يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾آية2. يمكن أن نلاحظ أن النص بصفاته يتجاوز مستوى الوصف إلى أفق دلالي عميق المعنى، ويتجلّى هذا التجاوز في مجال الصفات من خلال قيام الآية على علاقة السببيَّة وفي اختيار هاتين الصفتين ما يوحي بالطاقة الدلالية لهما، يقول ابن عاشور: "والمقصود من هذه الجملة إثبات الوحدانية... وصفة الحي: إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة غير الله والحي بالنسبة إلى الخالق.... انتفاء الجمادية مع التنزيه عن عوارض المخلوقات"[1] يقول الزمخشري: "الحي الباقي أي الدائم الحياة بحيث لا يعتريه العدم"[2] والحي صفة مشبهة والقيوم صفة مبالغة. دلالة على تدبير شؤون الناس كذلك لإثبات الألوهية لله تعالى لأنه لا يوجد غيره حي خالد ولا قيوم يدبر الأمور، كذلك جاءت الصفة الحي تسبق صفة القيوم ذلك لأن لا قيوم من غير حياة فكانت العلاقة سببية متممة لبعضها البعض، فهذا من جمال التعبير القرآني ففي داخل البنية الدلالية لهذه الآية يمكن أن نجد مدلولا مشتركا وهو إثبات الوحدانية لله تعالى.

2. عالم الكتب السماوية:

وقد ارتبط العالم الدلالي بصفتين ذلك في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾آية58.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾آية108.

إن الصفات الواردة في هذه الآيات لدليل آخر على وحدانية الله عز وجل لأن المنزل واحد فالكتب السماوية مصدرها واحد من عند الله عز وجل فكان القرآن خاتما للكتب السماوية أنزل على سيدنا محمد حيث أنه يتصف بـ(الذكر الحكيم)

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج3، ص377.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص54.

"المشتمل على الحكم الممنوع من تطرُّق الخلل إليه"[1] كذلك نجد في الآية الثانية بأن آيات القرآن قد وصفت بالحق أي بالعدل والسمو يقول ابن عاشور: "والباء في قوله (بالحق) للملابسة وهي ملابسة الأخبار للمخبر عنه"[2] لإثبات سمو ورفعة هذا الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء فيه للناس كله خير لا يظلم أحدا من إنس أو جن، فجاءت هذه الصفات مترابطة لإقامة الحجة على الذين أشركوا وعاندوا الرسول وكذبوا القرآن. بأن هذا الكتاب ليس من صنع البشر بل من رب البشر.

3. عالم الجحود والإنكار:

المفردة	عدد تواترها
كثيرا	1
أليم	5
الحريق	1

يتكون هذا العالم من الحقل الدلالي الثالث كما يشير إلى ذلك جدول الصفات، ومن النعوت التي كان لها حظ الشيوع والانتشار في سورة آل عمران صفة "كثيرا" ذلك في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ آية 186.

تعبر هذه الصفة الواردة في هذه الآية عن مفهوم "الكم" وقد ارتبطت هذه الصفة بالحالة النفسية لأن هذا الأذى هو "هو الضرُّ بالقول لذلك وصفه بالكثير أي الخارج عن الحد الذي تحتمله النفوس غالبا"[3] وهذا القول يندرج ضمن الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وبالتالي فإن مفهوم "الكم" مناسب كيد وسوء المشركين وتجاوزهم الحد في الأذى فالآية كما هو واضح قامت على دلالة الكم لأنه أبلغ في تصوير أذى المشركين للذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص50.

(2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص52.

(3) نفس المصدر السابق، ج4، ص335.

ومن صفات عقاب المشركين مجيء الصفة "أليم" متواترة خمس مرات لبيان عذاب جهنم التي تفيد معنى التهويل والترهيب للذين أعرضوا عن دين الحق، فتواتر هذه الصفة لدليل على ثبات ورسوخ عذاب المشركين، فجاءت هذه الصفة بالسورة بأسلوب تعبيري جميل لنقل الحدث أمام أعيننا، وقريب من الصفة السابقة نجد صفة "الحريق" في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾آية81. جاءت هذه الصفة نتيجة أفعال اليهود بقولهم بأن الله فقير وهم أغنياء وقتلهم الأنبياء بغير حق من قبل أسلافهم فالتذكير هنا لدلالة أن هذه الأعمال من طبائعهم فتأتي النتيجة لأعمالهم سيجازون عن ذلك دون صفح فجاء الفعل "ذوقوا" ليدل على الثبات لأنه من الله تعالى بدخولهم النار "والذوق حقيقة إدراك الطعوم واستعمل مجازا مرسلا في الإحساس بالعذاب بعلاقته الإطلاق.... إن الذوق في العرف يستتبع تكرر ذلك الإحساس لأن الذوق يتبعه الأكل"[1] لكن هذا الأكل من مذاق خاص أنه حريق فدلالته هذه الصفة التهويل والوعيد للَّذين أنكروا الله وأعرضوا عن رسوله كذلك الصفات الأخرى مثل "شديد"، عظيم، مهين" دلالة على الاحتقار لهم والوعيد لهم من الله إذ تثير هذه الصفات موسيقيا نوعاً من الخوف والرهبة فهذا من جمال التعبير القرآني.

4. عالم عباد الرحمن:

المفردة	عدد تواترها
حنيفا	2
أجر	1

يرتكز أساسا هذا العالم على الحقل الدلالي الرابع كما هو واضح من الجدول المكون للصفات، وقد اقترنت جُلَّ الصفات بموصفين الأول الرسل عليهم الصلاة، والثاني هم عباد الله، فكان الرسل مجسدين لعالم عباد الله، فجاءت الصفات تؤيد وترسخ مسألة إتباع الإسلام، فإننا سنقتصر على أكثر الأوصاف التي تؤيد هذه المسألة.

---

(1) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص184.

نجد صفة "حنيفاً" في سورة آل عمران من الصفات الرادعة لأقوال المشككين في دين إبراهيم عليه السلام فصفة "حنيفا" تعني "اسم لمن يستقبل في صلاته الكعبة ويحج إليها ويضحي ويختتن... فهذه الصفة بمثابة براءة لإبراهيم من الأديان الأخرى مثل النصرانية واليهودية، وعبادة الأصنام"[1] ثم جاء ترتيب النفي على غاية الفصاحة بنفي نفس الملل بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾آية67.

ثم قرَّر الدين الحق بقوله: ﴿وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾آية67.. ثم بين حقيقة هذه الأديان بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾آية67. ثم تكررت هذه الصفة مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾آية95. فدلالة هذه الصفة وتكرارها لدليل لنفي الشبهة عن دين إبراهيم فأن يكون يهوديا أو نصرانيا أو مشركا وبيان دين إبراهيم الصحيح وهو الإسلام.

ومن صفات عبد الله صفة "الصالحات" مما لا شك فيه أن دلالة الصالحات تشير إلى تصوير حسن أخلاق أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فتأتي صفة "أجر" نتيجة لأعمال المؤمنين الصالحة بن لهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾آية179. لتدل على قبول أعمالهم. فجاءت هذه الصفات لتنقل لنا صورة المسلمين المشرقة بأنهم عملوا الصالحات وإتباعهم الرسول عليه السلام فاكتسبوا الأجر العظيم وتساندها لفظ "ثواباً" لتدل على فوزهم بالآخرة بقوله تعالى: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾آية195.

2.4 تحليل الصور البلاغية

تحتل دراسة الصور البلاغية مكانا بارزا في الدراسة الأسلوبية الحديثة ومن خصائص التعبير القرآني أنه يعتمد على بعض الصور البلاغية المتضمنة لتأثيرات إيجابية لتحقيق أغراض جمالية، وتأدية الوظائف التعبيرية للنص، إذ يندرج عملنا

---

(1) الأندلسي، أبو حيَّان، البحر المحيط، ج2، ص67.

في هذا المبحث ضمن محاولة البحث عن المقاصد التصويرية الكامنة وراء النص لاستجلاء دلالتها الجمالية.

وأن سبيلنا في دراسة الصور البلاغية الواردة في سورة آل عمران يستند بصفة خاصة إلى إحصاء عدد الصور البلاغية قصد بلورة تصور عام شامل للخصائص الجوهرية للصورة الفنية في سورة آل عمران، ومعرفة الكيفية المعتمدة في توظيف البعد التصويري فيها. وترتكز الخلفية المنهجية في معالجة مختلف الصور البلاغية على المزاوجة بين الدرس الأسلوبي الحديث والموروث البلاغي القديم.

ويكشف لنا الجرد الإحصائي الذي قمنا به عن وجود سبع وتسعين صورة بلاغية أي ما يعادل صورة واحدة لكل آيتين، وهي نسبة جليلة القدر تنم عن استخدام البعد التصويري استخداما متميزا، كما تؤكد هذه النسبة نتيجة عظيمة الفائدة نوه سيد قطب بدراستها وتأكيد أهميتها الجمالية والفنية، وتتجلى هذه النتيجة في كون التعبير القرآني يعتمد على أسلوب التصوير بوصفه أداة أساسية في رسم ظلال للآيات القرآنية، وتحديد معالمها، فالتصوير كما يراه سيد قطب "هو مذهب مقرر، وخطة موحدة وخصيصة شاملة، وطريقة معينة، يفتن في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة، قاعدة التصوير"[1].

وقد أشار كثير من العلماء المحدثين إلى القيمة الدلالية للصورة وأهميتها الأسلوبية في مجال العمل الأدبي حيث يقول صلاح فضل: "الصورة في الشعر والأدب عموما لا تترجم الشيء الغريب إلى كلمات مألوفة، ولكنها على العكس من ذلك تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب عندما تقدمه تحت ضوء جديد وتضعه في سياق غير متوقع"[2].

---

(1) قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص37.

(2) فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص82.

مما يسترعي انتباهنا في سورة آل عمران قلة الصور البلاغيـــة المرتبطـــة بالذات الإلهية فقد عزى ذلك إلى كثرة الأسماء الخاصة بالله عز وجل وكثرة دلائـــل قدرته التي تعوض إلى حد كبير هذا النقص التصويري الملحوظ.

ولعل من الصور البلاغية التي ارتبطت بالمنافقين قوله تعـــالى: ﴿هَاأَنتُمْ أُولَاء تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾آية119. فقد اشتملت هذه الآية على صورة بلاغية وهي الكناية والمراد بها "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعـــاني فـــلا يـــذكره بـــاللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"[1] فلما أراد الله تعالى أن يظهر حقيقة المنافقين استخدم الأسلوب الكنائي القائم على أساس التلازم الذي أحد ركائز توارد المعاني الذهنية بحيث أطلق لفظ "عضُّوا عليكم الأنامل" فقد جرت عادة العرب عن التعبير عن المغتـــاظ النـــادم بعض الأنامل وفي الآية خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى الـــدعاء علـــيهم بديمومة غيضهم"[2].

ولعلَّ استخدام الكناية أدل على معنى الحقد والكراهية للمسلمين في هذا المقام وأبلغ على رسم صورة الحقد والغيظ من قبل المشركين وفي ذلك إيقاظ للمسلمين من كيد الكفرة الحاقدين.

ومن الصور الجميلة الأخاذة التي اقترنت بعالم القرآن قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾آية103. وإذا أنعمنا النظر في العناصر المشكّلة لهذه الصورة البلاغية نجد أنها استخدمت الاستعارة بهدف تجاوز اللغة التصـــريحية إلـــى اللغـــة الإيحائية فقد شبه حال من يتمسك القرآن الكريم بحال من يتمسك بحبل وثيـــق وقـــد تدلى من مكان عال، فيصبح آمنا من الانقطاع والوقوع في الهاوية.

---

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص52.

(2) الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر، دمشـــق، بيـــروت، 1988، ج2، ص41.

فالصورة بسيطة تضمنت تصويرا جزئيا محددا بحيث ارتكزت أساسا على بعض الخواص الحسية الكامنة في الاستعارة، مما يجعل خيال القارئ يميل إلى استحضار الصورة البلاغية لأنها أصدق أداة؛ حيث تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وتصور المنظر للعين وتجعل الأمر المعنوي ملموسا محسا فقد أحسن التعبير القرآني اختيار الطرف المتصل بالحس وهو "حبل" بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات الرسوخ والقوة والتماسك والتمكين.

ومن أشكال المجاز المختلفة وردت في سورة آل عمران المجاز المرسل وقد تحقق ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾آية118. نجد في هذه الآية مجازين مرسلين:

الأول في قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾آية118. فالمجاز في لفظ البغضاء، جاء هذا المجاز ليدل على الكراهية، لأن البغضاء هي من المعاني المكنونة في القلوب وهي لا تبدو ولا تظهر من الأفواه وإنما الذي يبدو منها هو الكلام المترتب على البغضاء فقد أطلق السبب -وهو البغضاء- وأريد المسبب -وهو الكلام- الدال على الكراهية، وبلاغة المجاز هو المبالغة في الكلام الدال على العداوة، وتصويره بصورة البغضاء للإشعار بأن الذي بدا من أفواههم هو ذات البغضاء على الرغم من محاولتهم إخفاء ما في صدورهم، ذلك بأنها قد تمكنت من قلوبهم، وملأت نفوسهم حتى أبت إلا أن تفيض فتنحدر من أفواههم[1]. لهذا الغرض عمد التعبير القرآني إلى المجاز بوصفه وسيلة بلاغية لتصوير المسبب بصورة السبب وإطلاق اسمه عليه وفي ذلك تنفير عن اتخاذ هؤلاء بطانة.

كذلك يظهر مجاز آخر في الآية نفسها في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾. يقول عبد الفتاح لاشين في هذه الصورة البلاغية "فالمجاز في لفظ "صدورهم" مجاز عن القلوب لأن القلوب مجمع الأضغان، ومحل الأحقاد، فقد أطلق المحل -

(1) لاشين، عبدالفتاح، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، ط1، 1984، ص159-160.

وهو الصدور- وأريد الحال فيها -وهي القلوب- فالعلاقة محلية والقرينة حالية فالمجاز أكّد المعنى وقواه، فقيل أن هذه القلوب قد تضخمت بما فيها من الكراهية. لأنها فاضت على الصدور فملأتها، وفي هذا بيان كون المجاز دعوى لشيء بالبينة والبرهان"[1]. فجاء هذا المجاز دلالة إلى شدة كراهية الكفار للمسلمين وتحذيرهم من الانخداع بهم فقد تآزرت الصورة البلاغية في هذه الآية لتشكل صورة بغض وكراهية المشركين للمسلمين فجاء المجاز المرسل ليؤكد المعنى المجازي ويقرّه في النفوس.

ومن المشاهد الحية الناطقة بفساد الحياة الدنيا قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾آية185. تواصل سورة آل عمران في تقديم الأدلة والبراهين على زوال هذه الدنيا وفسادها إذ "شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام، حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته"[2].

حيث شبه الحياة الدنيا بمتاع الغرور وهو تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه ففي هذه الصورة بيان لفساد هذا المتاع الذي لا فائدة منه للجاهل الذي جعل الدنيا غايته فلفظ الغرور يعني "كل ما يُغرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة..." فهي تحمل في طياتها دلالة المحنة والابتلاء في هذه الدنيا ومن جانب آخر تحمل دلالة الإنكار على من جعل الدنيا غايته لأنَّها لا نفع فيها ولا طائل وأي فائدة ترجى من الشيء الذي يعتريه الفناء لذلك استخدم التعبير القرآني أسلوب التشبيه لأجل بيان المعنى وإيضاح الفكرة لما لها أثر كبير لدى السامعين.

3.4 الخلاصة

1. انتسبت الصفات المرتبط بالذات الإلهية إلى مجال دلالي واحد جمعت بين صفات متقاربة نحو: غفور، رحيم، عليم.... والمتأمل في عالم الذات الإلهية يلمح أنها تتمحور حول دائرة ذاته، ولعل في استخدام هذه النعوت، لدليل

---

(1) نفسه، ص160.

(2) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص225.

واضح على وحدانية الله فهو الوحيد المتصف بها، ولعل صفتي المغفرة والرحمة أليق بمقام العلو الإلهي.

2. كما أن إيثار سورة آل عمران لصفتي "الحي، القيوم" دون الصفات الأخرى في استهلال السورة له دلالة عميقة ترتبط أساسا بتنبيه المؤمنين إلى أن الرب المعبود حي لا يموت وهو القائم على تدبير أمور العباد وتدبير كل شيء خلقه وهي من أخص صفاته جل شأنه بخلاف الآلهة التي يعبدها المشركون.
3. استندت سورة آل عمران في وصف جهنم بذكر صفاتها نحو: أليم، عظيم، شديد، الحريق ذلك لغرض الترهيب والتهويل في تصويرها.
4. اعتمدت سورة آل عمران في وصف أذى المشركين على دلالة الكم "كبيرا" مبالغة في وصفها وبأنها تجاوزت الحد بالمساس بالحالة النفسية للمسلمين.
5. تؤكد النماذج التصويرية التي قمنا بدراستها أن التوظيف القرآني لبعض الصور البلاغية قد خضع لجملة من السمات الفنية العامة لعل أهمها:

1. كثرة التصوير بالحركة المتخيلة وطغيان المشاهد الحية الشاخصة وندرة المشاهد الساكنة الصامتة.
2. قيام بعض الصور البلاغية على مفهوم البعد المادي مثل الحيز المكاني وهو جزء من التصوير والتشخيص عامة.
3. نجد أن سورة آل عمران تشكلت من أبنية تصويرية فيها الصورة المفردة البسيطة، وهي الصورة التي تقتصر على تصوير مشهد منتزع واقع حسي محدود، ولعل أقرب الأساليب المعتمدة في هذا الضرب من التصوير هو التشبيه والاستعارة، ومن صور الأبنية في سورة آل عمران الصورة المركبة وهي الصورة الجامعة لأكثر من صورة بسيطة بحيث تتراكم الصور لتشكيل الكيان المراد تصويره فالهدف من الصورة المركبة هو توسيع مجال التخييل والتصوير.

4.4 الخاتمة

تعدّ سورة آل عمران نموذجاً متميزاً بسمات أسلوبية شكلت نظامها اللغـــوي، وقد انتهينا إلى أن سرّ تميّز البنية اللغوية لسورة آل عمران يعود أساساً إلى استخدام خاص لها، وقد تجلّى هذا الاستعمال المتفرّد في الملامح الأسلوبية التالية:

أولاً: السمات الصوتيّة:

تتميز سورة آل عمران ببعض الخصائص الصوتية التالية:

1. يقوم النظام الصوتي لسورة آل عمران وسيلة على المزاوجـــة بـــين صـــفات الحروف ومخارجها، مما أثرى النص إيقاعاً دلالياً.
2. تفضّل سورة آل عمران وسيلة التكرار الصوتي لبعض الحروف فـــي نســـج تشكيلتها الإيقاعيَّة.
3. تميل البنية الصوتية لسورة آل عرمان إلى استخدام المقاطع الصوتية المفتوحة والمقفلة لإثراء منظومتها الإيقاعية وكشف دلاللتها التميزية.
4. اعتمدت سورة آل عرمان نظام المراوحة بين الكم الموسيقيّ للتواصل بحيـــث توزّعت النغمات الموسيقية توزيعاً مناسباً لدلالات الآيات.
5. تضمنت سورة آل عمران مجموعة من الفواصل أهمّها المتوازي، والمتـــوازن، والمطّرف، وقد نتج عن تنوع هذه الفواصل طاقة إيقاعية ولّدت تشابكاً تركيبيـــاً دلالياً.

ثانياً: السّمات الصرفيَّة:

1. من السّمات الأسلوبية لسورة آل عمران أن بعض أوزان صيغها الصرفية ذات نغمة إيقاعية موسيقيّة.
2. تعمد اللغة القرآنية في سورة آل عمران إلى استعمال الاسم النكرة في المقامات التي تعب!ر عن الموضوعات العامة، وقد
3. تعمد سورة آل عمران إلى استعمال العلـــم لتحقيـــق دلالات مختلفـــة، أهمّهـــا: التحضير والتعظيم، والحصر، كما تستخدم اسم الإشارة الدال علـــى التحضـــير والتهكم والتشويه، والاسم الموصول المقيد لدلالتي التعظيم والتهويل، وتســـتخدم

الاسم المعرف بـ(أل) للعهد حيناً وللجنس حيناً آخر، وأخيراً استخدام الاسم المضاف إلى معرفة قصد التفخيم والتعظيم.

4. يكثر في سورة آل عمران استخدام الأفعال البسيطة بمختلف أنماطها، وقد هيمنت صيغة "فَعَلَ" على بقية الصّيغ الفعلية.
5. تميل البنية الصرفية لسورة آل عمران إلى استعمال صيغ المغايرة، أي العدول عن المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول لغرضين، أمَّا الأول فعندما يتعلق الغرض بغير الفاعل، والثاني حينما يتعلق الغرض بالفاعل المحذوف.
6. من الخصائص الصرفيَّة لسورة آل عمران أنها تعتمد على الصيغ الصرفيّة المركبة، وقد ورد منها: صورة (قد+فعل) المتضمنة لصيغة: الماضي القريب وصورة (كان+يفعل) المشتملة على صيغة الماضي الاستمراري.

ثالثاً: السمات النّحويّة:

1. الترفث الجملة الاسميّة المثبتة البسيطة في سورة آل عمران النظام العادي لترتيب عناصر الجملة.
2. تنوعت وسائل توكيد الاسمية المثبتة، فأكدت الجملة النّحويّة بمؤكد ومؤكدين.
3. تميل سورة آل عمران إلى استخدام أداة النّفي (لا) في نفي الجملة الاسميّة.
4. تنوعت الأسماء الموصولة في سورة آل عمران، وقد طغى الاسم الموصول "الذين" على بقية الأسماء.
5. تعمد البنية التركيبية لسورة آل عمران إلى استخدام معظم أدوات الشرط، ونجد أقل أدوات الشرط تواتراً (إذا).
6. تنوعت أدوات الاستفهام في سورة آل عمران، وقد خرجت عن استعمالها المألوف إلى أغراض أسلوبية أخرى.

رابعاً: السمات الدلاليّة:

1. من خلال ضبط الحقول الدلاليّة لسورة آل عمران، تبيّن أنَّ عالمها الدلالي، يقوم على قطبين: قطب الإيمان بالله ورسوله وقطب الجحود والإنكار وتكذيب الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن القيم، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (ت403هـ)، 1991، **إعجاز القرآن**، شرح وتعليق: عبدالمنعم خفاجي، ط1، دار الجيل، بيروت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد زفزاف وإبراهيم وعبدالله أمين، ط1، مطبعة الباب الحلبي وأولاده.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المنصف في شرح كتاب التصريف للمازني**، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، ط1، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده.

ابن خلكان، أبو العلاء شمس الدين (ت611هـ)، 1975م. **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،.

ابن عاشور، محمد، 1984، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد (ت711هـ)، **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت لبنان.

أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي (ت982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، وضع حواشيه: عبداللطيف عبدالرحمن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،.

أبو زيد، أحمد، 1970، **التناسب البياني في القرآن**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

أبو ناصر، موريس، 1982م، مدخل إلى علم الدلالة الألفي، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، ع18، 19، آذار، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص85.

الأصفهاني، الراغب، (ت425هـ)، 1992م، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين (ت1270هـ)، 2001م، **روح المعاني في روح تفسير القرآن والسبع المثاني**، ضبطه وصححه: علي عبدالباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأنباري، أبي البركات عبدالرحمن بن محمد (ت513-577هـ)، **أسرار العربية**، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت.

الأندلسي، محمد بن يوسف أبو حيان، (ت745هـ). **البحر المحيط**، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

الأندلسي، أبو محمد عبدالحق بن عطية، 1982م، **المحرّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، ط1، طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر.

الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن عبدالله بن هشام (ت761هـ)، **مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب**، حققه وفصله وضبطه: محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأنطاكي، محمد، **المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها**، دار الشرق العربي، بيروت.

أنيس، إبراهيم، 1975م، **من أسرار اللغة**، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية.

أنيس، إبراهيم، 1981م، **الأصوات اللغوية**، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

إينو، آ.، 1988م، **مراهنات دراسة الدلالة**، ترجمة: أوديب بتيت وخليل أحمد، تقديم: أ. جوليان كريماسو، أسعد علي، دار السؤال للطباعة، دمشق.

البدراوي، زهران، 1988م، **ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين**، ط1، دار المعارف، مصر.

بدوي، أحمد أحمد، 1950م، **من بلاغة القرآن**، ط3، مكتبة نهضة مصر.

بركة، بسام، **علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية**، مركز الإنماء القومي، بيروت.

بشر، كمال محمد، 1969م، مفهوم علم الصرف، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ع25، نوفمبر، ص33.

بشر، كمال محمد، 1975، **علم اللغة العام**، ط4، دار المعارف، مصر.

البكوش، الطيب، 1992م، **التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث**، تقديم: صالح القرمادي، نشر وتوزيع مؤسسات بكر بن عبدالكريم بن عبدالله، ط3، تونس.

تودوف، تزفيتان، 1982م، **نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان.

الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت471هـ)، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، صحح أصله: محمد عيده، وقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حركات، مصطفى، **الصوتيات والفوتولوجيا**، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

حسن، عباس، **النحو الوافي**، ط5، دار المعارف، مصر.

حسن، تمام، 1955، **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، القاهرة.

حسن، عبدالكريم، 1983م، **الموضوعية البنيوية**، دراسة في شعر السياب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الخليل، عبدالقادر مرعي، **التشكيل الصوتي في اللغة العربية**، ط1، دار المكتبة الوطنية.

الدبل، محمد سعيد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، عالم الكتب، بيروت.

الدرويش، محي الدين، 1988م، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت.

الرازي، أبو حاتم، 1985م،**كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية**، عارضه بأصوله وعلق عليه:حسين بن فيض الله الهمذاني الحرازي، مطبعة الرسالة، القاهرة.

الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين (ت544هـ)، 1990م، **تفسير الفخر الرازي**، دار الفكر للطباعة والنشر.

الرافعي، مصطفى صادق، 1977م، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، تحقيق: عبدالله المنشاوي، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة.

ربيع، عبدالله، وآخرون، 1988م، **علم الصوتيات**، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة.

الرفايعة، حسين عباس، 2003م، **ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة.

الرماني، علي بن عيسى بن عبدالله، (ت384هـ)، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة.

الزركشي، محمد بن عبدالله، (ت745هـ). 2001م. **البرهان في علوم القرآن**، خرج أحاديثه وقدم له: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (ت528هـ)، **الكشاف**، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

سيبويه، عمر بن عثمان بن قنبر، 1991م، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، 1998، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه: محمد أبو صعليك، ط1، دار الجيل، بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ)، **فتح الغدير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الصابوني، محمد علي، 1993، **صفوة التفاسير**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ)، 1989م، **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

طحّان، ريمون، 1980م، **الألسنة العربية**، ، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

عبدالقادر، حازم، 1985م، معاني الماضي والمضارع في القرآن، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ع10، القاهرة، ص65.

عبداللطيف، محمد حماسة، **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر، لبنان.

العلوي، يحي بن حمزة بن علي (ت749هـ)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء، بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

عمر، أحمد مختار، **1976م، دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة.

العيد، يمنى، 1985م، **في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي**، بيروت، شباط.

فضل، صلاح، سمات أسلوبية في شعر صلاح عبدالصبور، "**مجلة فصول**" ع1، أكتوبر، 1986م، ص76.

قطب، سيد، 1959، **التصوير الفني في القرآن**، دار المعارف، مصر.

القيرواني، علي بن رشيق، 1988م، **العمدة**، تحقيق: محمد قزقزان، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الكرماني، محمد بن حمزة (ت505هـ)، 1977، **أسرار التكرار في القرآن**، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مراجعة وتحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

لاشين، عبدالفتاح، 1984م، **البيان في ضوء أساليب القرآن**، ط1، دار المعارف، بيروت.

لاشين، عبدالفتاح، **الفاصلة القرآنية**، دار المريخ للنشر، الرياض.

المسدّي، عبدالسلام؛ ومحمد الهادي الطرابلسي، 1985م، **الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية**، الدار العربية للكتاب، تونس.

المطردي، عبدالرحمن، 1986، **أساليب التوكيد في القرآن الكريم**، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بيروت.

مفتاح، محمد، 1990م، **دينامية النص**، المركز الثقافي العربي، بيروت.

المهيري، عبدالقادر، رأي في بنية الكلمة العربية، **مجلة الموقف الأدبي**، ع135، 136، 1983م، دمشق، ص44.

نحلة، محمود، 1988م، **دراسات قرآنية في جزء عمّ**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد (ت710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: مروان محمد الشعار، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان.

هلال، ماهر مهدي، **1980، جرس الألفاظ ودلالتها**، دار الحرية للطباعة، بغداد.

هنداوي، عبدالحميد، 2004، **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة.

يارت، رولات، 1985م، **ميادين في علم الأدلة**، ترجمة وتقديم: محمد البكري، كلية الآداب، مراكش، الدار البيضاء، المغرب.

ياكوبسون، رومان، **1994، ست محاضرات في الصوت والمعنى**، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

السيرة الذاتية:

- **الاسم:** محمد يوسف سالم المطارنة.
- **الكلية:** الآداب.
- **التخصص:** ماجستير في اللغة العربية.
- **السنة:** 2006-2007.
- **العنوان البريدي:** www.mohd2005mat@yahoo
- **الهاتف:** 0777759331